كنت حمار.. وأشياء أخرى

مشاهد شخصية في منتهى الحمورية

هشام منصور

Remove Watermark Now

لكل جديد وقديم وكل ما هو نادر

من من كتب ومجلات ومجلدات

تابعوا موقعنا

#دوده_الكتب

pdfelement

اضغط علي اي جزء من الصوره

للدخول الى الموقع

تابعوا على التلجرام

t.me/book100100

هشام منصور

كنت حمار.. وأشياء أخرى

مشاهد شخصية في منتهى الحورية

لمزيد من المعلومات عن الكرمة: facebook.com/alkarmabooks

حقوق النشر © هشام منصور ٢٠١٩
الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة
جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب
بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

منصور، هشام.
كنت حمار.. وأشياء أخرى: مشاهد شخصية في منتهى الحمورية / هشام منصور - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٩.
٢٣٢ ص؛ ٢٠ سم.
تدمك: 9789776467842
١- الأدباء العرب
٢- منصور، هشام، ١٩٨٤ - ... - المذكرات
أ- العنوان
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣١٣٥ / ٢٠١٧

٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: أحمد نبيل

إهداء

إلى البطلة الأسطورية، اللي سوبر مان جنبها عيِّل عبيط
ما يسواش مليم، الإنسانة اللي عملت مني بني آدم مرَّة واتنين وتلاتة
وعشرة وألف، ولسه بتعمل مني بني آدم... أمي.
باحبك يا مديحة، باحبك حب أكتر مما هو ممكن بشريًّا.

إلى الملكة، حب حياتي وعمري، حب كل أيامي السابقة والحالية
والجاية، اللي كافحت معايا سنين من غير حتى ما تكون في
حياتي... حب عمري.

إلى كل النساء في حياتي، اللي عملولي حاجة حلوة، ووقفوا جنبي،
واستحملوني، وهمَّ كتير الحقيقة.
إهداء ليكم كلكم من كل قلبي وعقلي.

إلى أكبر صراع نفسي في حياتي، المرحوم والدي،
اللواء أ.ح. صَدَقَة فهمي منصور.

إلى كل حد أذاني متعمدًا، وحاول يوقعني... خد بوسة في الهوا.

وأخيرًا، إلى الحمار، هذا الكائن البريء من كل حماقاتي،
هذا الكائن البرنس.

المحتويات

تمهيد ١١

#1 لما ما حلقتش شنب البلوغ ١٥

#3 لما اتجوزت عُرفي ٢٣

#5 لما ما إديتش لأبويا سيجارة ٤١

#7 لما ما كُنتش باشرب ميه ٥٣

#9 لما فتشت في الماضي ٥٧

#11 لما غنيت «ما تخافيش» لبنت البواب من البلكونة ٧٣

#13 لما افتكرت إن البنت حياتها سهلة، والمُزة على
الأخص ٨١

#15 مع جومانا، وغيرها ٨٧

#17 لما كنت «أونكل كمال خطيب ماما» ٩١

#19 لما افتكرت إن أبويا ما بيحبنيش ١٠٣

#21 لما ما كُنتش باسامح ١١٣

#23 لما اتخانقت..... ١٢٣
#25 لما افتكرت الدولفين صاحبي..... ١٢٩
#27 لما ركبت مع أحمد..... ١٣٣
#29 لما صدَّقت..... ١٣٩
#31 لما خُفت من الوحدة..... ١٥٧
#33 لما بطَّلت أحب نفسي..... ١٦٧
#35 لما افتكرت إني حبِّيت مرَّة واحدة..... ١٧٧
#37 لما فقدت الأمل..... ١٨٧
#39 لما افتكرت إن مفيش حُب..... ١٩٩
#41 لما افتكرت إني اتجننت..... ٢١٣
#43 لما كنت باهرب..... ٢١٩

مؤخرة..... ٢٢٣
شكر خاص وواجب..... ٢٢٥

تمهيد

وأنا طفل صغير، كان حلمي إني أكتب كتاب أحكي فيه قصص زي اللي باقراها، بس وقتها ما كانش عندي أي حاجة أحكيها غير قصص سلسلة ملف المستقبل، ورجل المستحيل، وأفلام الكارتون اللي شُفتها.

لما كبرت، اكتشفت إن حياتي ما كانتش بعيدة أوي عن الأفلام دي، وطِلعت أكبر فيلم كارتون فيها.

ده أول كتاب ليَّ في حياتي، أتمنى عزيزي القارئ إنك تتقبله قبول ميريام فارس في مدرسة طبري الحجاز بنين، أو قبول ميريام فارس بصفة عامة، ويكون حلو كده وخفيف على قلبك، وتستفيد منه أي حاجة.

للي ما يعرفنيش، أنا شاب عنده ٣٥ سنة، عمل كل حاجة غلط في حياته غير إنه يـ... أقولك على حاجة؟ هاكون صريح معاك، أنا عملت كل حاجة غلط في حياتي!

أحب أعتذر في البداية عن أسلوبي المتنقل بين الفصحى والعامية، هيَّ بتروح وتيجي لوحدها، ساعات بتطلب كده، وساعات بتطلب كده، فيه أوقات مش بيسعفني فيها غير جملة عربية فصحى، وفيه أوقات تانية هتلاقيني باكلمك كأنك واحد صاحبي قاعد جنبي.

الكتاب ده كتبته على مدى خمس سنين، كل شوية باقف وما باقدرش أكمله، كل شوية أغيَّر عمري اللي مكتوب فوق ده، وهتحس غالبًا وإنت بتقرأ بالاختلاف وفرق التفكير.

ينقسم هذا الكتاب إلى عدد من الأحداث، مواقف، مشاهد، أجزاء... أي هباب بقى، المهم إن كل جزء من دول منفصل عن التاني، ومتصل في نفس ذات الوقت.

إذا استطعت، عزيزي القارئ، أن تربط كل هذه الأحداث ببعضها البعض، فستعرف من أنا، ودي مش بالضرورة حاجة مهمة بالنسبة لك، بس إنت مشكورًا اشتريت الكتاب، فلازم أحسسك إنك أخدت حاجة بفلوسك، فهمت أنا مين وبتاع، لعله يكون حاجة مفيدة ليك بأي شكل من الأشكال، وتلاقي ولو جزء من نفسك فيَّ.

أتمنى من كل قلبي إنك تستمتع عزيزي القارئ.

يااااه! كبرت يامَّه وبقيت باقول «عزيزي القارئ»! هيييه دنيا!

حلوة «عزيزي القارئ» دي، محسِّساني إني مهم واسمي «محسن» وبالبس بدلة وكده.

كلمة صغيرة: الكتاب ده حطيت فيه قلبي ودماغي، وهو ليس بأي شكل من الأشكال ادعاء للعمق، ولا دعوة للتفاهة، ولا محاولة لأي حاجة في الدنيا، هو فقط بعض مشاهد من حياة ممكن تقول إنها خيالية لا تمت للواقع بصلة، هو سجل لمعارك كتيرة دخلتها مع نفسي ومع غيري، في خيالي برضه.

أنا قلبي توقف عن العمل تمامًا في ٢٠٠٣، ورجع تاني! غالبًا ربنا كان بيقولي «لسه ما خلصناش»!

1#
لما ما حلقتش شنب البلوغ

كنت حمار لما افتكرت طنط نادية هتفضل تبوسني وتحضنّي بعد ما بلغت، أو بمعنى أصح، بعد ما بانت عليَّ أعتى علامات البلوغ!

طنط نادية كانت البلونداية الوحيدة في عيلتي، وفي مصر الجديدة تقريبًا. خلّي بالك البلوند كان شاحح جدًّا في أوائل التسعينيات، وما كانش فيه غير شيرين رضا وسبعة كمان مثلًا، واتنين منهم أكسجين.

طنط نادية دي بقى، كانت أحلى ست في العيلة كلها، والبوسة والحضن منها ليَّ، حتى وأنا طفل، كانوا بينقلوني لمجرة تانية، فيها سعادة وبهجة، والهوا فيها مشبع بالحشيش الأفغاني غير المطبوخ اللي لونه فاتح شوية ده.

لما طنط نادية كانت بتحضنّي وتديني بوسة، كنت ـ زي البنات

ما بيقولوا ـ باحس إن مفيش غيري في الدنيا، وإني الولد الوحيد في العالم، وإني على قمة أعلى جبل. إحساسي وهيَّ حاضناني كان بالظبط كأني ملك العالم ومعايا الخاتم بتاع «لورد أوف ذا رينجز»، وميكس ثقة في النفس، ساويرس على أبو هشيمة كده.

بس للأسف! كل أحاسيسي الجميلة الشفافة دي اتهدمت، لما تركت الطفولة، وبلغت.

كنا بنتقابل في بيت جدتي وجدي الله يرحمهم، كل يوم جمعة. العيلة كلها بتتلم على سفرة تيتة المليئة بكل ما لذ وطاب، وكل ما هو مميت ومليء بالكوليسترول واليورانيوم المشع، بداية من المحشي المسد للشرايين اللي مرمي فيه حتة شغت أو دهنة عشان تدِّي طعم، وحتى الفراخ البانيه اللي حجمها يقارب مساحة بلد في حجم كينيا، ويمكن تقريبًا كانت نفس شكلها على الخريطة كمان.

طنط نادية ما كانتش بتيجي كل أسبوع طبعًا، وده اللي كان بيزود عندي الشوق والمشاعر المرهفة، كانت بتيجي تقريبًا مرَّة كل شهر أو شهرين، ولما كانت بتشوفني بتفتح دراعاتها عشان أجري عليها وأحضنها، وتقعد تبوس فيَّ. وإحساس حضنها كان خليط من الراحة النفسية بتاعة وجود حسن حسني في أي فيلم، ودفء إسعاد يونس، والأمان بتاع مدرعات الجيش، يعني تخيل مدرعة جيش سايقاها إسعاد يونس! اللي هوَّ أقصى درجات الاطمئنان. كنت مليان بمشاعر الرومانسية الطفولية البريئة،

وآه كانت بريئة بجد، ما كنتش أعرف أي حاجة عن الجنس والكلابشات والسبانكينج مثلًا ساعتها، وتقريبًا لسه ما أعرفش برضه، فيا ريت أي حد ينورني في الموضوع ده!

«هشومة حبيبي»، بصوت طنط نادية، كانت كلمة السر ومفتاح السعادة اللي بييجي بعده كل أشكال السعادة الدنيوية لطفل عمره ما بين ١٠ و١٢ سنة. كانت من أوائل الكراشات في حياتي، الله يمسيها بالخير.

إذ فجأة انقطعت أخبارهم فترة حوالي ٨ شهور، ٨ شهور حاسس بالوحدة والبُعد عن مصدر الجمال الوحيد في حياتي، كنت «عايش ومش عايش» قبل ما عمرو دياب يعرف معناها، كنت باشوف طيفها في كل حتة وكل شارع بامشي فيه مع أهلي، أسمع اسم «نادية» أتنفض، أشوف واحدة شعرها أصفر، من السبعة التانيين، في الشارع أطلع أجري وراها، وطبعًا كان فيه عدد مش قليل من الستات اللي لاقوا طفل صغير بيجري عليهم وهو بينده بصوت له نزعة سؤالية: «طنط نادية؟ طنط نادية؟»، وهمَّ يتدوروا ويبصولي ويقولوا بكل كليشيهية الأفلام العربي في السبعينيات: «لا يا حبيبي».

إذ فجأة برضه، رجعوا، ورجعوا بنفس الفجأة اللي اتقطعت بيها أخبارهم، في خلال الفترة دي عزيزي القارئ، كنت أنا وصلت سن البلوغ اللي بيحصل للأسف فجأة وبدون سابق إنذار، بتصحى من النوم تلاقي نفسك بلغت كده خلاص، نهاية حقبة زمنية بريئة،

وبداية حقبة أخرى كومبليكيتد، وطبعًا طلعلي الشنب القذر بتاع البلوغ ده، وجبهتي امتلأت بالحبوب الناتجة عن التغيرات الهرمونية، وشكلها بقى مزدحم أكتر من ترابيزة بلياردو تناثرت عليها الكور بسبب واحد كَحُول ما بيعرفش يكسر.

اللي أذكره جيدًا إن بلوغي اتأخر حوالي شهرين تلاتة عن بقية زملائي في الفصل، فكنت كل يوم باروح المدرسة وأسمعهم بيتحاكوا عن قصص بلوغهم في صمت وقلق وتوتر، وأذكر جيدًا جُملة زي: «إمبارح يلا حلمت إني بافرتك «سيلين ديون»»، وعمري ما فهمت ليه ما باحلمش زيهم إني بافرتك حد! وليه «سيلين ديون» على الأخص! وأذكر إني بعد الجملة دي حسيت بالغربة وعدم الانتماء، وفضلت بعدها كل يوم أحاول أفتكر حلمت بإيه، وأتفحص ملابسي الداخلية جيدًا كل يوم، ولكن دون جدوى، إلى أن جاء الحلم، وجاءت معه العزلة العاطفية من طنط نادية.

ـ طنط نادية هتبقى هناك؟

قُلتها بصوت يملأه الشغف والتغيرات الهرمونية، وأنا أنظر إلى أمي نظرة شاب حالم، يطوف حوله شبح الفنان حمدي الوزير، داخل عربية أبويا الـ١٢٨ حمراء اللون، يوم جمعة صيف بعد الصلاة.

قالت أمي بصوت يعلوه نبرة التوتر:

ـ إن شاء الله.

لم أفهم توترها حين ذاك، ولن أنسى المشهد الذي تلاه.

صوت جرس الباب البيانو العتيق على باب بيت جدتي، وصوت ضربات قلبي المتسارعة يملأ المكان كـ«صاب ووفر جي بي إل» في سيارة «بولونيز» أمام «مجدي كلاريون»، ثم يُفتح الباب، وأرى جدتي تفتح الباب بابتسامة عريضة وتفتح ذراعيها عشان تحضني، وأنا أدفعها بعيدًا، وأدخل مسرعًا إلى الصالون لأرى حبيبتي، طنط نادية، ملاك جالس على الصالون المُدهب. جريت، فتحت سبرينت من بتوع أحمد فتحي بتاع الأهلي لما مش بيهمه هوَّ معاه الكرة ولَّا لأ بس بينطلق، لحد ما وصلتلها، وبارمي نفسي عليها، ولكن لدهشتي، استوقفتني يدها الممدودة للسلام عليَّ من بعيد، يمكن عمري ما شفت إيد بني آدم ممدودة بهذا البُعد! كانت كأنها أحد «الفانتاستيك فور»، المطاطي اللي فيهم ده، وكأن دراعها اتمدت لعدة أمتار كوسيلة للدفاع عن النفس، وكأنها كانت قاعدة في الصالون ودراعها اتمدت للأنتريه عشان ما أقربش منها!

ـ إزيك يا هشام؟

قالتها بصوت متحفظ وديستانت، ويمكن كان فيه نبرة قرف كمان، فنظرت في دهشة إلى دراعها الممدودة، وفي استغراب إلى دراعاتي المفتوحة، ولم أكن أصدق ما حدث، ما فهمتش سبب التغيير المفاجئ في المعاملة، دي كانت أول مرَّة في حياتي أبقى ريجيكتيد كده، تلاها صوت انكسار قلبي المدوي،

كصوت انكسار طقم كوبايات شربات كان محمول على صينية بأيدٍ مرتعشة.

- إزاي حضرتك يا طنط؟!

قُلتها وأنا تملأني الدهشة والاستغراب والارتباك الشديد، قليلًا ما كنت أعرف، أن هذا هو شعور كل رجل بيتعامل مع أي امرأة في جميع أنحاء العالم.

فضلت واقف مستنيها تغير رأيها، تعوضني، تقبلني، تودع حبي البريء حتى، بس للأسف! ما حصلش!

جريت على الحمَّام وأنا باحاول أخبي دموعي، وبصيت لنفسي في المراية، وحاولت أفهم إيه السبب، بصيت لشنب البلوغ الحقير اللي مخلِّي شكلي كأني تاجر بانجو شاب في مقتبل عمره، وبصيت للحبوب اللي مخلِّية شكل وشي شبه سلسلة جبال البحر الأحمر اللي ورا البحر في العين السخنة وشرم دي.

حطيت نفسي مكانها، أي حد في الدنيا داخل عليه كومبو الحبوب التي يعلوها قطرات عرق أطفالي قذر، وهذا الشنب البلوغي المبهم، هيقرَف! وقرفت من نفسي أكتر منها، وفهمت إن مفيش حد ممكن يبوس ويحضن هذا الشيء المقزز، ولا يطرطر عليه حتى.

ساعتها أخذت القرار، وعقدت العزم، إني دايمًا بعد كده هيكون شكل وشي مظبوط ونضيف وريحتي دايمًا حلوة.

ده أول درس في حياتي: النسوان بتقرف فشخ، والجزء الأكبر من جاذبية الرجل في اهتمامه بالـ«hygiene».

يمكن كل اللي عارفيني كويس دلوقتِ عارفين إني عندي هسهس النضافة الشخصية والريحة، ومدمن بيرفيومز ومزيلات وعطور وصابون وشاور جيل ومسك وعنبر وأي حاجة تخلِّيني طاهر وعذب الرائحة، وأهُم دلوقتِ عرفوا ليه.

عشان كنت حمار لما خسرت حب طفولتي، حتى وأنا مليش أي ذنب في تغيراتي الهرمونية المدمرة!

3#
لما اتجوزت عُرفي

هوَّ المَوقف ده بالذات ما يكفيش فيه كنت حمار واحد، لأني كنت سلسلة من الحماقات المتصلة، فأعتقد إني في هذا الموقف كنت حمير كتيرة!

مبدئيًا، كنت حمار لما افتكرت إني هالاقي «حب حياتي» في شرم الشيخ، إلا لو كنت بقى وزير خارجية في مؤتمر مثلًا، بس المواطن العادي اللي زيي، صعب!

هوَّ لو فيه حد فعلًا فيه بيني وبينه كيميا وتفاهم في شرم الشيخ، فهو بتاع الولعة في أي كافيه في نعمة باي، غير كده، مبدأ إنك تكون في أجازة لطيفة في مكان لطيف وتقابل شخصية لطيفة وتكتشف إن هيَّ فيها كل حاجة كنت بتدوَّر عليها، والقدر شاء إنكو تتقابلوا في الرحلة دي، هوَّ كفتة بمَية البطيخ. وده مبدئيًا لأنك لما بتكون في مكان لطيف بتقضي وقت لطيف، فإنت مش بتكون

على طبيعتك، والكلام ده ينطبق على باقي الناس. في الأجازة على البحر إنت بتكون شخص جميل، لذوذ، حنون ومحنين على نفسك، وبتشر منك علوقية عاطفية، نسخة منك بس ألطف وأروش وأهدى، ناهيك طبعًا عن التحفز الجنسي في الأجازة. ثبتلي بالدليل إن الشخص في الأجازة بيكون متحفز جنسيًّا أكتر من أي وقت تاني، بسبب راحة البال يمكن، وروقان الأعصاب، ويمكن ده السبب إن الأزواج اللي عندهم مشاكل بيسافروا، عشان يغيروا جو، ويبعدوا عن الضغوط، ويحاولوا يستعيدوا الأيام اللي هوَّ كان فيها وَحش، واللي هيَّ كانت فيها سافلة!

شخصيتك الحقيقية هيَّ في بيتك، في مكانك الطبيعي، في وسط الأسبوع، في شغلك. شخصيتك في الأجازة دي نسخة مدبلجة من شخصيتك الحقيقية، ولا تمت لك بأي صلة، وتحت أي ظرف ما ترتبطش بأي علاقة وإنت في أجازة، وحتى هتلاقي أي اتنين اتقابلوا في أجازة دايمًا بيقولوا جملة: «كنا تحفة مع بعض في الأجازة، مش عارف لما رجعنا إيه اللي حصل، واتغيرت/ اتغير ليه؟!»، والدنيا بتخري في عينيهم فجأة. عشان بكل بساطة، شخصياتكو في الأجازة مش حقيقية، اعتبروها بوكيمون، أفاتار، بس مش إنتو.

«لوبا» بقى كانت روسية ملحدة، كعادة الروس طبعًا لا يؤمنون بأي شيء غير ثلاثة أشياء، الثانية ستبهرك: الفلوس، والسكس، والفودكا.

قابلت «لوبا» في إطار رومانسي لذيذ، كنت على البحر مع أعز أصدقائي، أحمد عماد، وقررت إن الدنيا حر فشخ، وإني عايز أنزل البحر، وأحمد كعادته كان شخص ثقيل المؤخرة جدًّا، وما بيتحركش بسهولة، زي الزواحف بالظبط، فنزلت لوحدي، وقعدت أعوم أعوم أعوم، أعوم أعوم أعوم، أعوم أعوم أعوم... (باحاول أشوف هتزهقوا بعد كام أعوم)، فتعبت وقررت إني أريح شوية وأسند على الكور المربوطة بحبل، اللي بتحدد حدود المنطقة اللي ممكن تعوم فيها، قال يعني أم الكور دي هيَّ جوهر الأمان والسر الأساسي للحفاظ على الأرواح في الميه! بس تمام. غطست راسي في الميه وطلعت، وبابص حواليَّ، علمًا بإني عادة بالبس نضارة وما باشوفش كويس من غيرها، فالبص حواليَّ ده كان حركة روتينية مش أكتر، وإذ فجأة خبطني شعاع حارق من أشعة الشمس في عينيَّ، حاولت أبص أعرف مصدر الحرقان ده جاي منين، لقيت على أد ما بصري جاب، صاروخ، مُزة فشخ، فشخ يعني، بلوندايا رفيعة وطويلة، لابسة نضارة شمس تلفزيونية الحجم، وقاعدة على المربعات الزرقا مع بيضا الطافية اللي بتعمل لسان صناعي جوه الميه دي، ونضارتها التلفزيونية دي هيَّ اللي كانت سبب انعكاس أشعة الشمس على وشي.

شاء القدر إنها تاخد بالها من تأثير الحرقان على عينيَّ والارتباك اللي حصلي بعدها، فبصيت عليها لقيتها بتضحك

وبتعملي باي باي، ومن كم مزازتها أذكر جيدًا إنها لما ضحكتلي كان رد فعلي إني بابص ورايا، وبابص عليها تاني، وباشاور على نفسي في حركة معناها: «حضرتك بتضحكيلي أنا، مش صديقك الروسي الفحل، أو دولفين معدِّي ورايا؟».

شاء القدر برضه إنها تومئ لي بالإيجاب، هوَّ القدر كان برنس بصراحة في الفترة دي! ولقيتها فجأة قامت وقفت، وراحت ناطة في الميه بكل سلاسة، دبوس نزل براسه في الميه بدون ذرة طرطشة، وبدأت تعوم ناحيتي، وأنا ما زلت في حالة الدهشة وعدم التصديق، وهيَّ بتقرب ناحيتي ابتديت أشك إنها ممكن تكون فعلًا جايالي، فبشوية خبث رجالي مهروش جدًّا، رُحت ضارب ضربتين في الميه، وبعدت عن الناس اللي كانوا حواليَّ في البحر، واتجهت إلى مكان أكثر انعزالًا وقريب من الشط ومن مكان أحمد، وبابص عليها لقيتها مكملة ناحيتي بأداء عبد اللطيف أبو هيف في عبوره للمانش.

فجأة لقيت الصاروخ طالعة من الميه قدامي بالتصوير البطيء، وعن قرب كانت أكثر مزازة بكتير، وعندها بربور صغير كده نازل من مناخيرها بسبب البحر، لو كانت أي حد تاني كان ممكن يقلل منها، بس هيَّ مزازتها كانت تسمحلها ببربور البحر الشهير، وهيَّ أدركت سريعًا البربور وشدته بإيدها في حركة تلقائية وراحت ناطراه لورا بثقة تحترم، وراحت بصالي وقايلالي بكل ثقة:

ـ بريفييت.

ـ مالِك؟

ـ بريفييت.

ما فهمتش وقتها بصراحة إيه «بريفييت» دي، بس لما حسيت بثقتها وهيَّ بتقولها لتاني مرَّة، أدركت إنها بتحاول توصلي رسالة بلغة مختلفة، بتحاول تـ«كومينوكيت»، سفينة فضائية بتبعت إشارة. اكتشفت لاحقًا إن «بريفييت» دي يعني «هاي» بالروسي.

سألتها في محاولة بائسة للتواصل:

ـ دو يو سبيك إنجليش؟

ـ نو.

في اللحظة دي أدركت إني أمام اختيارين لا ثالث لهما: يا إما أدرك إن دي حدود علاقتنا وخلاص كده وأقصر الشر وأطلع أقعد مع أحمد، يا إما أحاول أستغل الاستلطاف وأطلع منها بأي شبه علاقة طالما هيَّ مُقبلة كده، وأنا معجب الحقيقة، كلب كلب يعني!

التفت وبصيت بصة سريعة على أحمد، لقيته قاعد بيشيش وبيلعب في صوابع رجليه، وده الحقيقة حسملي الاختيار، ومش في الموقف ده بس، عامة، بقت أي خروجة نسوان ليها الأولوية بالنسبة ليَّ!

طلعتها من الميه، وقلت نقعد بره كده شوية ونشوف بقى هنهبب إيه عشان نتواصل مع بعض. وكانت الشكوك لا تزال تساورني، ولكن الشكوك كلها انتهت لما طلعت وطلبت مني

إني أنشفلها ضهرها في أداء ناهد شريفي جدًّا. ما كانتش سهلة هيَّ برضه، عارفة هيَّ بتعمل إيه مع شاب مصري فيه شعاع حب وهرمونات بيشروا من عينيه، وفيه كلمات «باحبك» دقيقة جدًّا بتخرج من مسامه في اللحظة دي.

نشفتها بفوطتي في أداء تحسسي متحرش سيكا، وفي نفس الوقت مِدِّي فيس إن ده العادي بتاعي وكده، وإني بانشف نسوان على البحر طول اليوم وزهقت من الموضوع أصلًا. وقعدت أكارك معاها في موضوع الروسي ده، وشوية إشارات على شوية تغيير في مخارج الألفاظ يمكن الكلمة اللي باقولها تشبط في أي كلمة روسي عندها، وأحمد الحقيقة ساب رجليه وكان بيساعد. ووقتها كنت لسه راجع من بيروت، فقعدت أفرجها على الصور، وفجأة وهيَّ بتتفرج على الصور من الكاميرا، لقيتها حطت راسها على كتفي!

الجدير بالذكر هنا إني كنت بقالي سنة ما لمستش بنت، ولبنان كانت كارثة عشان رُحت في وقت بعد فترة اضطرابات ما، والناس ما كانتش بتنزل من البيت أصلًا، وكانت مأساة وأحلام كتيرة اتحطمت في السفرية دي، والعملية كانت ناشفة من الآخر، وحيواناتي المنوية تكاد تقفز من السعادة، فبمجرد لمس راسها لكتفي، أنا وقعت!

أخدنا تلفونات بعض، الأرقام يعني مش قصدي إننا بدلنا التلفونات، واتفقنا معاها إننا هننزل بالليل نروح نعمة، وهنكون

معاها عشان الشباب البايظ ما يعاكسوهاش وأي كلام طبعًا. وعدينا عليها فعلًا في الأوتيل، وقعدت أدور عليها في اللوبي، ما لقيتهاش! أكلم الرقم اللي ادتهولي، ما بيجمعش! أطلب من الريسيبشان أكلم أوضتها، ما بتردش! أدور عليها حتى في بوفيه العشا، مفيش! ابتديت أفقد الأمل، وبان عليَّ الإحباط! بصيت حواليَّ بصة أخيرة سريعة بائسة، ولسه هامشي، لقيت واحدة لسه معدية من قدامي، وقفت وميلت راسها كده وبتشبِّه عليَّ، بس دي لابسة نضارة وبهدومها، فقلت أكيد مش هيَّ، وبعد كده قلت لنفسي ما هو أنا ما أعرفش روسيين كتير عشان فيه واحدة فيهم تشبِّه عليَّ في الأوتيل اللي هيَّ نازلة فيه، ما تبقاش جحش بقى.

رُحتلها وسألتها:

ـ «لوبا»؟

قالتلي:

ـ ضاااا («آه» بالروسي).

الإفيه كان إن إحنا الاتنين شُفنا بعض من غير نضارات النظر، وإحنا الاتنين بنلبس نضارات نظر، فهيَّ كانت قدامي بقالها ربع ساعة مثلًا وأنا مش هارشها، وأنا كنت قدامها وفاكراني مجرد واحد عمَّال يفرك في اللوبي، وجدت الموضوع ده كيوت جدًّا في وقتها، بس قليلًا ما كنت أعرف برضه إن القدر كان بيحاول يحمي المغفل اللي هوَّ أنا.

رُحنا نعمة، واتمشينا الهوينى، نلاعب بعض، ونهزر، ونحاول

ننطق كلمات في لغاتنا ونضحك على طريقة نطقنا، وأقولها يعني إيه «كوباية» بالروسي وههههه وكده، ويعدِّي واحد رفيع جنبي فأعمل نفسي إني باحميها منه عشان أكبر في دوري، وأحسسها إن حياتها في خطر من غيري، وتتعلق بيَّ أكتر، وهبل كتير لحد ما فرهدنا وقعدنا في كافيه. ودي كانت اللحظة الحاسمة بالنسبة ليَّ، اختيارها للكرسي اللي هيَّ هتقعد فيه كان بمثابة تأكيد لكل الإشارات الجنسية اللي هيَّ بتبعتهالي من الصبح، وقد كان.

أحمد طبعًا دخل قعد في حتة لوحده وساب جنبه مكان لتلات بني آدمين عشان تمدد جنبه تقريبًا، بس تجاهلته.

قعدتْ جنبي، ولزقت فيَّ أوي، وأنا أحب الحاجات دي بصراحة، أحب الست المباشرة المتقربة الودودة. وأذكر جيدًا النظرة في عينين أحمد ليَّ، نظرة بداخلها سلو كلاب (تصفيق بطيء)، وأنا مبتسم له بفخر. واستمرينا في المكاركة ومحاولة تطويع لغة الإشارة في التفاهم، ونجحت في إني أعرف عنها تفاصيل أكتر، زي إنها مُطلقة من زوج روسي برضه، كان يعمل بسم الله ما شاء الله عليه في تجارة المخدرات، تقدروا تقولوا إنها كانت بنت ناس يعني وما اتمرمطتش كتير!

إلى أن انتهى اليوم الجميل ده، واتجهنا إلى العربية. وإحنا بنعدِّي الشارع أنا كنت جنبها، وكانت فيه عربيات كتيرة ماشية بسرعة، فتحت إيدي في محاولة إني أمسك إيدها بس من غير ما أتجه ناحية إيدها فعليًّا، سبت إيدي مفتوحة كده في المطلق

وكأني باطلب من القدر يكمل جميله. والمفاجأة كانت إني لقيت إيدها اتحطت في إيدي، وقفلت عليها فشخ قفلة بوابات محطات الفضاء، تقريبًا نفس الساوند إيفيكت، أو كأني عليَّ ليها فلوس، في حركة رومانسية رخيصة هزت كياني من جوه.

وصلناها بعربية أحمد للأوتيل بتاعها، ولما نزلنا عشان نسلم عليها قلتلها إني مسافر بكرة، فلقيتها اترمت في حضني ولطعتلي بوسة بالتصوير البطيء على خدي، وراحت واخدة موبايلي وكاتبالي كل بياناتها في روسيا بالكامل، بتاريخ الإصدار، وخدت مني إيميلي، واتفقنا هنتكلم. وراحت تسلم على أحمد، فهَمَّ بها كأنه هيبوسها، راحت مادة إيدها تسلم عليه على بُعد متر من وشها، في إشارة صايعة منها إن مفيش بوس، وكأنها بتقوله بأداء مصري: «لحد هنا وستوب».

نظرت إلى أحمد المحطم نفسيًّا، وتذكرت قصتي مع طنط نادية، وصعب عليَّ شوية الحقيقة، ولكن سرعان ما تجاهلت مشاعره، ونظرت إلى «لوبا»، وأدركت إنها حب حياتي في هذه اللحظة، سافلة معايا، ومؤدبة مع المجتمع، حتى لو المجتمع ده أحمد أعز أصدقائي، ومتناسيًا تمامًا إنها روسية وملحدة وكانت متجوزة تاجر مخدرات، وعقدت العزم إني أشحنها على مصر في أي كونتينر.

لما رجعت القاهرة تواصلنا عن طريق سكايب والإم إس إن نشات، وأقنعتها بالنزول إلى مصر والزواج مني، والبت بصراحة

ما كدبتش خبر، شهر وكانت عندي في البيت ومِقعدها قدام أمي وجدتي اللي كانت عايشة في الشقة اللي تحتينا، وباقول لأمي:

ـ أنا هاتجوزها.

من الجدير بالذكر برضه إن وقتها كانت فيه حوادث كتيرة في الجرايد من نوع: «زوجة روسية تختطف الأطفال والفلوس وتهرب من زوجها إلى بلدها»، وأمي كعادتها متدينة جدًّا، وشخصية قلقة جدًّا، وجدتي الله يرحمها ست متدينة جدًّا، بس بتحب الواد اللي بيلعب بديله ومنتشر. وأذكر جيدًا إن أمي وجدتي كانوا قاعدين قدامي أنا و«لوبا»، وأمي كانت قاعدة بتبتسم لـ«لوبا» وبتتفحصها في نفس الوقت، وجدتي كانت شبه بتتحرَّش بيها ومنبهرة إن حفيدها علَّق الصاروخ ده!

قالتلها أمي:

ـ ويلكام ويلكام!

وقالتلها جدتي وهيَّ بتحدفلها بوس في الهوا:

ـ إنتِ عسل، عسل، قُلَّها يا هشام إنها عسل!

ردت «لوبا»:

ـ سبايسيبا («شكرًا» بالروسي).

وأنا كالعادة كنت باسألها:

ـ مالِك؟

قعدنا نتناقش كتير أوي في إجراءات الجواز، وأمي تحاول تعقَّلني، ومفيش طبعًا.

اتجوزنا عند المحامي بتاع جدتي، على وعد إنه هيوثق عقد الزواج في السفارة الروسية، حسب إجراءات الزواج من أجنبية اللي ما كانش عندي أدنى معلومة عنها.

بعد الإمضاء تعالت الزغاريد والسعادة، و«لوبا» طبعًا مش مستوعبة مدى سهولة وسماحة الجواز في الإسلام، أو شاكة إننا كلنا عُبط بس خايفة تتكلم، وأنا كنت بدأت الحلم الجنسي في دماغي خلاص، ومبسوط إن اللي باعمله حلال وهيييييييه ويا ألف سبايسيبا.

روَّحنا البيت، وقالتلنا أمي:

ـ ألف مبروك.

وجدتي:

ـ إنتِ عسل، قُلَّها إنها عسل، يلَّا هاتوا عيال عينيهم زرقا بقى.

وطبعًا أنا:

ـ عن إذنكو.

بس يا سيدي، قصدي يا عزيزي القارئ، ودخلنا الأوضة، وطلعنا بعدها بشهر تقريبًا، أكلنا ودخلنا تاني. طلَّعت فيها كل الكبت اللي كان عندي، أنا فاكر إني طلعت من الأوضة رفيع فشخ ودقني طويلة، و«لوبا» طلعت من الأوضة خاسة جدًّا وعلى كرسي بعجل تقريبًا.

لعلك، عزيزي القارئ تاني، تتساءل: ما هي طلبات «لوبا» للزواج؟ أجيبك بكل ثقة: طلباتها الوحيدة للجواز

كانت دولاب تحطه في أوضتي عشان هدومها، وبلاي ستيشان. دولاب وبلاي ستيشان! شفتوا حلاوة كده؟ ياختي جماله حلو! وأنا طبعًا ما خلصنيش برضه، وجبتلها خاتم ودبلتين وفستان، واتعشينا في أغلى مكان في مصر وقتها، الـ«Revolving Restaurant» في فندق «جراند حياة»، المكان اللي كنت باخد فيه كل اللي باحبهم. وبعد كل خروجة أو هدية أجيبهالها، البنت الحقيقة كانت بتحسِّسني إني جبتلها يعني اللي ما يتجابش، ومش حارمها من حاجة، وبتعوضهولي حب وحنان ولحظات متعددة من النشوة بدون فاصل وبدون أدنى مجهود أو تدخل مني.

الروسيات برضه عارفين همَّ بيعملوا إيه!

والدي الله يرحمه كان عايش وقتها في بيت تاني لانفصاله عن أمي، فكلمته قلتله إني هاتجوز واحدة روسية بعد ما كنت اتجوزتها ولكن كنوع من التمهيد، ولقيته دخل فيَّ شمال جدًّا، وكانت من أسوأ المكالمات في حياتي مع أبويا، واتخانقنا تاني أكبر خناقة في تاريخنا في هذه المكالمة، وزي أي شاب تافه، كنت بالومه إنه بيقف في طريق سعادتي، وهوَّ كان بيهزَّأني عشان إزاي ما اتجوزش واحدة من ديننا وأخلاقنا وثقافتنا، وبعد المكالمة دي انقطعت علاقتي بأبويا لفترة تتجاوز الشهر، وباعترف إنه كان نوع من أنواع عقوق الوالدين اللي ندمت عليه أشد الندم لاحقًا، إلى أن قررت إني آخدها وأروح أزوره.

برضه أبويا الله يرحمه كانت نفسه حلوة، وسعادته في إنه يكون حواليه ستات جميلات وفي حضرة وصحبة الجمال، كان طالع لابنه بالظبط!

خبطنا على الباب، ومتوقع إنه هيلطشني بالقلم كعادته لما يكون غضبان عليَّ، فتح الباب، وبصلي بقرف، ولسه هيفتح بُقه، بص جنبي ناحية «لوبا»، وابتسم.

أبويا:

ـ أهلًا أهلًا، مش تقولوا إن إنتو جايين؟

قالها وهوَّ بيفتح الباب على مصراعيه وبيدخَّلنا الشقة.

أنا:

ـ قلت أعملها مفاجأة.

دخلنا، وقال أبويا وهو يعدل من وضعية الكراسي التي يرغب في أن نجلس عليها:

ـ أنا لسه ضد موضوع الجواز ده، يا ابني أحسنلك تتجوز واحدة زينا ومننا!

وهنا «لوبا» الخبيثة، التي تعلم جيدًا صراعي مع والدي على زواجي منها، راحت لاطعاه بوستين على خدوده، وأنا مش فاهم رد فعل أبويا هيكون إيه، لقيته بصلي فجأة وقالي:

ـ يلَّا ربنا يباركلكوا، ابقى علمها بُقين عربي وكلمها عن الإسلام وكده.

بس كده خلاص، قعدنا نهزر، وجينا نمشي مسك فينا شوية،

وما سابناش غير بعد وعود كتيرة إننا هنجيله تاني، ويا ريتني كنت قعدت، لأسباب كتيرة هتفهمها بعدين عزيزي القارئ.

* * *

بعد رجوع «لوبا» لروسيا لاستكمال دراستها، والعديد من الخناقات اللونج ديستانس، ابتديت أفوق شوية، وأدرك الاختلاف الرهيب اللي بيننا. إحنا بكل الأشكال ما كناش نافعين غير جنسيًا. مبدئيًا: هيَّ كانت روسية، ده لوحده حوار رهيب في الاختلاف واللغة والحياة اليومية. ثانيًا: زوجها السابق، على حسب كلامها في الآخر، كان تاجر مخدرات روسي ينتمي بشكل من الأشكال إلى المافيا الروسية. قلقت شوية بصراحة، وحسيت بالمنافسة، وحسيت إني لازم أبقى خطر زيه، هوَّ أنا أقل من المافيا في إيه؟ وابتديت أحكيلها عن خناقات مدرسة «يحيى الرفاعي» مع مدرسة «طبري الحجاز» والحاجات دي، وأهوِّل فيها فشخ، وإزاي بعد كل خناقة كانت فيه جثث قدام كل مدرسة، وهيَّ بتصدق زي المغفلة طبعًا، وبتقلق من مصر شوية. وغير كل ده، كل صحابها في روسيا كانوا من الذكور، ومش من النوع بتاع هننزل نقعد في «كوستا» والجو ده، لأ يا معلم! الخروج في روسيا عبارة عن إنها بتروح لصحابها الذكور دول في بيتهم، وبيقعدوا يسكروا وياخدوا فودكا في حقن شرجية لحد ما يتدرمغوا ويصحوا مش فاكرين حاجة، وأنا قاعد هنا بقى ماسك وردة، ومشغَّل حماقي، وبافكر

فيها بقى، وباصص للسقف والنجوم وكده، عته طبعًا! كانت حياة غريبة أوي، وكانت أول مرَّة أدرك إن اختياراتي اختيارات واحد مندفع وجحش!

الموضوع ما هديش، بالعكس، الخناق فضل يزيد يزيد لحد ما وصلت لمرحلة إني أدركت كلام أبويا، وفهمت إن الحوار ده خارج الجنس عمره ما هينفع. بس كنت باحبها، حب جنسي وشكلي بحت، باحب شكلها، وباحب اللي بتقدمهولي في أوضة النوم، والمطبخ، والكنبة اللي بره. المهم يعني، كنت فاكر إن ده الحب الحقيقي وكده!

لكن السبب الأساسي اللي خلَّاني مش عايزها فعلًا كان موقف بعينه، وقتها أبويا الله يرحمه كان اتشخَّص بسرطان المخ، وما كنتش فاضيلها خالص، وكنت ندمان ومتأثر لأسباب كتيرة هاشرحها لاحقًا.

في يوم من الأيام رجعت البيت من عند أبويا، وكنت باحاول آخد منها أي دعم نفسي، لقيتها طبطبت على كتفي لمدة ثانيتين، ولقيتها بتقولي بالإنجليزي اللي كانت ابتدت تتعلمه شوية:

ـ لما أبوك يموت، مين هياخد شقته؟

قالتها كده زي ما هيَّ، بدون لف أو دوران أو كسوف أو أي ابن تيت! قالتها كده بكل بجاحة، وعملية فجة! قالتها وفصلتني من أي حاجة كنت لسه حاسسها ناحيتها! حاولت أفهمها إنه عيب وما يصحش ومش وقته، هاجمتني وقالتلي:

ـ لو إنت ما أخدتهاش، حد من إخواتك هياخدها، وأنا مش هافضل عايشة طول عمري في أوضتك!

قفلت معاها الكلام، وسفَّرتها على بلدها، واتلخمت في أبويا حتى وفاته الله يرحمه.

بعد وفاة أبويا بشهر، قرَّرت الانفصال.

يمكن كان إحساس بالذنب، يمكن فُقت أخيرًا وقدرت أواجه كل حاجة وحشة شايفها فيها، يمكن حسيت إني باكرهها، وإنها كانت السبب إني ضيَّعت أغلى وقت في حياة أبويا معاها، أو يمكن كل ده على بعض.

هيَّ طبعًا كانت ضد الموضوع جدًّا، ومتمسكة بإمبراطور الكبت الجنسي اللي جابلها دولاب وبلاي ستيشان وكافة شيء، وفضلت تحاول إننا نرجع، وأنا بارفض، وندمان على كل لحظة قضيتها معاها بعيد عن أبويا لحد النهارده، ولما رفضت أرجعلها قعدت تهددني بإنها هترفع قضايا عليَّ وتاخد فلوسي، قال يعني كان معايا فلوس! كانت عبيطة والله! وأنا قلتلها أعلى ما في موسكو اركبيه!

لعبت معايا لعبة الفتاة المصرية الأصيلة بتاعة «أنا حامل» وكده، وأنا ما كنتش مصدق بصراحة، بس لما لقيتني اهتميت، قالتلي إنها هتعمل إجهاض عشان توجع قلبي. وأعتقد إنه اتوجع شوية، حتى لو ما كانش الموضوع حقيقي، بس كنت أصغر من إني أفهم وجعه وأحسه حقيقي.

بعدها على طول كلمت المحامي عشان أسأله نتطلق رسميًّا إزاي، قالي إنه نسي يروح السفارة ويوثّق الجواز! ما عرفتش أهزأه ولا أحضنه الحقيقة، وقفلت معاه وأنا حاسس إني رجعت حر ولكن بلا أب! وقفلت على نفسي شوية كتير بعدها، أو في سفر على طول وصرمحة في حواري وبارات أوروبا ومحاولات نسيان أبويا، ونسيان «لوبا». وأدركت برضه بعدها بسنين إن الوقت اللي بتضيعه في محاولات النسيان، عمره ما بيرجع!

* * *

من الآخر يعني كنت حمار لما مشيت ورا إحساسي!

وكنت حمار أكبر لما افتكرت إن واحدة روسية في شرم الشيخ ما بتتكلمش عربي، ولا إنجليزي أساسًا، هيَّ الإنسانة اللي ممكن أقضي بقية عمري معاها، ودي اللي هتبقى أم عيالي وبتاع، لأسباب كتيرة فشخ، أولها سبب بسيط جدًّا اكتشفته لاحقًا، ألا وهو إني ما أقدرش أقضي بقية عمري مع واحدة مش فاهمة إفيهات فيلم «إشاعة حب»!

كنت حمار إني انشغلت عن أبويا في آخر أيام حياته، بواحدة كانت مستنياه يموت عشان عايزة شقته!

5#
لما ما إديتش لأبويا سيجارة

علاقتي بأبويا من أغرب العلاقات في حياتي، وأكثرها تأثيرًا عليَّ وعلى تفكيري وعلاقاتي مع الناس(*).

شخصيته كانت كومبو مرهق نفسيًا لأي ابن: رجل شديد وصارم وقاسي وأحيانًا مفتري، على أب حنون وعاطفي ومليء بالشجن والأحاسيس الأبوية. شخص في بعض الأحيان معترض على إرادة ربنا، وشخص في أحيان أخرى في قمة الورع والخشوع. صعيدي أصيل ذو مبادئ كلاسيكية، على شخص متفتح فكريًا وليبرالي للغاية... حاجات كتيرة وعكسها.

يمكن الحاجة الوحيدة الثابتة فيه إنه كان نزيه ونضيف ويُشهدله في القوات المسلحة بعفة اليد والالتزام والانضباط، شفتها وسمعتها من زملائه في حياته وبعد وفاته.

(*) حُذف الكثير من هذا الفصل لأسباب سأشرحها لاحقًا في حياتي.

كم الإرهاق النفسي اللي مريت بيه في وجوده وغيابه، كان أكبر من أي حاجة واجهتها في حياتي، لأسباب كتيرة أوي، بس أولها كان العنف.

أبويا كان عنيف جدًّا، وردود فعله عصبية وقاسية، والموضوع في أغلب الوقت كان بيصل لحد الضرب، سواء ليَّ، أو لإخواتي، أو حتى لأمي.

يمكن المشكلة الأساسية مع العنف من الأب، إن المشاهد كلها بتتحفر جوه دماغك، وبتكون صعبة النسيان إلى الأبد، مهما كبرت بتفضل فاكرها.

ما كانش عنده أي مؤشرات على الضرب، أو قيود، بمعنى إنه كان ممكن يحصل في أي وقت وفي أي حتة، وبدون سابق إنذار، وبدون ما تدرك حتى خطأك كطفل. اللي هوَّ يا معلم إديني سبب واضرب عادي، بس أبقى فاهم ليه. زمَّر بس.

كانت علاقة غريبة، وكان قادر إنه يخلِّيها أغرب وأغرب بطرق على النقيض تمامًا من العنف، زي مثلًا إنه ياخدني نتمشى لوحدنا، يحكيلي قصص حياته وهوَّ صغير في البلد، حكاياته مع أبوه، يجيبلي عصير وآيس كريم وحاجة حلوة، ويقولي إنه بيحبني، أو يقعدني معاه في البلكونة ويحكيلي قصص الأنبياء بطريقته العظيمة وبصوته اللي عمري ما هنساهم، أو زي مثلًا أول أجازة ليَّ من الجيش بعد تجنيدي، ويتفتح الباب ويكون أول واحد، أول وجه مبتسم على الباب من وسط كل

الأهالي المنتظرين، ونروَّح مع بعض وهوَّ سايق ساعتين في عز ما غضاريف ضهره كانت بتشتكي وفترة علاجه لفقرات ظهره، أو مثلًا لما كنت باكسبه في الشطرنج وأنا عندي خمس سنين وأقوله: «فزتك يا بابا»، كان يقعد يضحك كتير على «فزتك» دي، وإزاي إني مش باعرف أقول «كسبتك»، وهوَّ وشه منور بالفخر إن ابنه الطفل كسبه في لعبة ذكاء. والحقيقة إني عمري ما هاعرف هل أنا كنت عبقري فشخ وأنا عندي خمس سنين عشان أكسبه في الشطرنج فعلًا، ولَّا هوَّ اللي كان بيسيبني أكسب عشان يديني ثقة في نفسي، ويعلمني إزاي أكسب، عمري ما هاعرف! كل اللي أعرفه إن ماتش الشطرنج مع أبويا كان من أكبر المتع في حياتي، أكبر يمكن من حاجات كتيرة دلوقتِ.

لك أن تتخيل عزيزي القارئ حجم الصراع النفسي الذي تولَّد عندي، عندما يكون عندك هذا الكم من الذكريات الجميلة المحببة، وهذا الكم من الذكريات المؤلمة مع نفس الشخص، الذي لا تستطيع التحكم في حبك الفطري له، بتعيش حياة أبعد ما تكون عن السلام الداخلي.

أزمة انعدام الثقة اللي عندي تجاه أي حد في حياتي بيقولي إنه بيحبني، يمكن كان سببها إن الريفيرينس الأهم في حياتي، اللي هوَّ أبويا، كان ريفيرينس مضروب. الريفيرينس ده بيقول حاجة مهمة جدًّا، إنت ممكن تكون بتحبني وقادر على إيذائي عادي جدًّا.

كان صعب عليَّ جدًّا إني أصدق إن حد بيحبني، وكنت محتاج أدلة وبراهين كتيرة أوي. وأصبح المقياس الوحيد لحب أي شخص ليَّ هو فقط تحمله لأخطائي مهما كبرت، وعدم إيذائي. إذا فعلت هذا فقط، فأنت تحبني.

دلوقتِ وأنا باقول كده، أدركت إن يمكن فيه أوقات كتيرة في حياتي كنت باغلط متعمدًا، في محاولة لكشف مدى حب الشخص اللي قدامي ليَّ، وقدرته على تحملي.

* * *

فاكر كويس أوي آخر مرَّة أبويا ضربني فيها، وفاكر إني كنت كبير نسبيًّا، ١٧ سنة مثلًا.

فاكر إني ما اعرفش بالظبط حصل فيَّ إيه، بس ما سكتلوش، وقعدت أزعق فيه وأزقه، كأني باتخانق مع واحد في الشارع، كنت غضبان عليه غضب سنين كتيرة أوي، وعمَّال أزعق فيه بصوت عالي وقوي، لدرجة إن إخواتي وقرايبي صحيوا على صوتي ودخلوا يحوشوني من عليه.

دي كانت آخر مرَّة أبويا وأمي اتخانقوا بسببنا، وما رجعش يعيش معانا بعدها، فضل يعيش في شقته، وكنا بنتناوب الزيارات عليه أنا وأمي وإخواتي، وأذكر جيدًا ثقل الزيارات دي على قلبي!

أذكر إنه كان حرفيًّا بيتوسَّل إليَّ إني أبات معاه، وأنا كنت بارفض، وباتحجج بالشغل أو بأي حاجة، سنين طويلة بادور على أي عذر إني ما أباتش عنده.

في الزيارات القليلة اللي كنت باروح فيها عنده، كان بيبقى طاير من السعادة، مش عارف يعمل إيه ولَّا يجيبلي إيه ولَّا يأكلني إيه، مش عايز يقعد من كتر ما هو بيفكر عايز يعملي إيه تاني، وأنا ما كنتش شايف ده في وقته، كنت إلى حد كبير بارد جدًّا معاه، وما كنتش شايف إني بارد، كان منطقي بالنسبة ليَّ إني مش عايز أشوفه، مش عايز أفتكر، أو يمكن حتى مش عايز أشوفه منهزم، ما كنتش عايز أشوفه وحيد، ومش عايز أشوفه عامة، وخايف منه، باستنى اللحظة اللي هاودعه وأخرج فيها من الباب بفارغ الصبر وأتنفس الصعداء، كأن حجر جاهلي كبير من بتوع تعذيب المسلمين الجدد اتشال من على صدري.

* * *

الدرس القاسي دايمًا في أي مشاكل مع الأهل، هوَّ إنهم في الأول وفي الآخر هيفضلوا أهلك، وهيفضل شعورك الفطري تجاههم موجود!

أكتر مكالمة تلفون لن أنساها بعد خناقتي معاه على «زوجتي الروسية»، كنت في الشغل ونزلت أشرب سيجارة، لقيته بيتصل، قبلها كنت مش بارد على مكالماته لما بيتصل، باحلقله، مقاطعه، حاجات كتيرة مش قادر أصدق إني عملتها معاه. في المكالمة دي كان ألطف شخص على وجه الأرض: «إزيك يا هشام، واحشني»، «مش هتيجي تشوف أبوك بقى؟»، «نفسي أشوفك يا هشام». كلام كتير لسه بيرن في دماغي، وبيخرط قلبي بمخرطة

ملوخية كل ما أفتكره، وأفتكر ردودي الباردة عليه: «إن شاء الله»، «ربنا يسهل»، «حاضر»، «معلش مشغول شوية بس في الشغل». السبب الأساسي في إن المكالمة دي مميزة، هوَّ إن بعدها بأسبوع كلمني، وقالي بصوت واهن:

ـ هشام، الحقني يا هشام، أنا تعبان!

رديت عليه رد واحد:

ـ خمس دقايق وهاكون عندك.

أقسم بالله وبدون أي مبالغة أنا مش فاكر أنا لبست إيه ولَّا كنت سايق إزاي، كل اللي فاكره إن الموضوع كله أخد سبع دقايق من نهاية المكالمة لحد ما كنت عنده، في مشوار عادة بياخد خمسة وأربعين دقيقة، وأحب أعتذر لأي حد ممكن أكون كسرت عليه أو لبسته في عمود، كنت مشغل الانتظار بتاع العربية، اللي هوَّ المفروض إنه يعتبر الإشارة الدولية لو إنت مشغله وإنت سايق لأن عندك «emergency» أو حالة طارئة، وكنت حرفيًّا باطلع فوق العربيات.

كان معايا مفتاح، فتحت الباب ودخلت ومش عارف أتوقع إيه، لقيته واقف في الصالة، بيضحك، وبيقولي «إزيك يا هشام»، ولابس رِجل واحدة من البنطلون ونُص القميص، وضحكته معووجة شوية، كان أصيب بشلل نصفي!

ساعدته يكمل لبسه وهو مبتسم وعمَّال يهرِّج، وأخدته ورُحنا المستشفى، ومن هنا ابتدت رحلة اكتشفنا منها إنه كان مصاب

بجلطتين في المخ، وورم خبيث في المخ برضه، علمًا بإنه لحد قبل الاكتشاف ده بأيام معدودة، كان بيسوق، وبيخرج، وبيهرَّج، وبيحضر ماتشات الزمالك كصديق مقرَّب لأعضاء مجلس الإدارة في أواخر الألفينات، كان عايش عادي، كان صخرة بمعنى الكلمة.

اللي باعتبره أسوأ غلطة في حياتي، واللي كانت مسببالي عقدة ذنب رهيبة، هيَّ إني ما كنتش قادر أروح أشوفه في المستشفى، ما كنتش قادر!

ما كنتش عارف، ما كنتش متحمل، كان أصعب مشهد عليَّ في الدنيا إني أشوف أبويا في سرير مستشفى، وبيصارع السرطان!

كان المفروض أبقى جنبه كل يوم، وأمسك إيده وأقوله «ربنا يقويك»، بس كده، ما كانش مطلوب مني حاجة تانية، حتى لو الموضوع كان صعب ومؤلم كان لازم أدوس على نفسي، لازم، كان لازم يعني، وحتى لو كان أب عنيف أو قاسي!

فيه أوقات هتعدي عليك هيبقى صعب عليك تعمل حاجة معينة لشخص معين، هتبقى موجعة، هتبقى مش قادر ومش عارف، بس لازم تعملها، لازم تعمل التصرف السليم اللي مفيش من وراه أي ندم، مهما كان حجم الألم اللي هييجي من وراه، صدَّقني يا اللي بتقرأ الكتاب ده، لازم والله!

ربنا ما يوريكوا يعني، المرض ده في مرحلة ما بيخلِّي شكل الشخص فعلًا يضايق أي حد بيحبه! يمكن ده السبب الأساسي في إني ما كنتش باقدر أروح.

أذكر إني لما رُحتله في إحدى المرَّات، كان السرطان استولى على جسده تمامًا، وكان حرفيًّا أشبه بمومياء من المومياوات الموجودة في القاعة الأساسية بالمتحف المصري، وده مش تشبيه كالعادة، دي كانت الحقيقة. اتخضيت، وقفت قدام السرير مش مصدق إن ده أبويا، والله ما مصدق، كان فيه حد جنبه وقاله إن أنا جيت. وشه شبه نوَّر، وصوته طلع سِنَّة، وحاول يتكلم وهوَّ بيستجمع قوة من ورا ضعف عظيم، في مشهد لو قعدت أوصف فيه أقسم بالله ما هاقدر أوصفه في مليون كلمة!

قال:

ـ هشاااام.

من المرَّات القليلة اللي هتسمع فيها اسمك ورد فعلك يكون إنك تنهار في البكاء، لما تسمعه بصوت أبوك وهوَّ بيموت.

بكيت! ورُحت جنبه عشان طلب إني أقربله، مش مجمع إن هذا الجسد الواهن يحمل داخله روح أبي، ذلك الكيان الذي عهدته صلبًا، وعمَّال أعيط وأقوله:

ـ معلش يا بابا! إن شا الله أنا! معلش يا بابا!

وهوَّ يقولي وهوَّ بيحارب عشان يخرج النَّفس:

ـ بعد الشر عليك! بعد الشر عليك يا حبيبي!

كان بيخرج النَّفس بالعافية، بس ما قدرش يمنع نفسه إنه يقول «بعد الشر عليك يا حبيبي»! لحظات فوق احتمال البشر! رفع دراعه وحطها على إيدي، وحاول يخلِّيني أقربله، فنزلت

بسرعة بوشي جنب وشه، لقيته بيحاول يقولي حاجة في ودني مش قدام الناس.

ما سمعتش أول مرَّة.

قلتله:

ـ قول تاني، معلش يا بابا ما سمعتش.

وقربت أكتر، سمعت همسه وهوَّ بيقول باستعطاف واحد بيموت:

ـ هشام، سيبلي سيجارة.

رفعت راسي وبصيتله، باتأكد إنه فعلًا بيقول كده، لأسباب كتيرة أوي، أولها إنه ما كانش عارف إني باشرب سجاير، ولو كان عرف كان فشخني حرفيًّا، وده من واقع تجربة مع أخويا، وطبعًا حالته الصحية.

سرحت لجزء من الثانية، إيدي اتمدت على جيبي وعيني مش بتشال من عليه، ورجعت مكانها تاني، وقلتله:

ـ مش هينفع يا بابا إنت تعبان!

وهوَّ يتحايل عليَّ، وأنا أحاول أقنعه وأنا باعيط إنه ما يستحملش، لحد ما وقت الزيارة خلص، ومشيت في اليوم ده، أقل ما يقال يعني إني مشيت مختلف!

أبويا الله يرحمه مات بعدها بأسبوع!

تاني يوم الصبح بابص في المراية لقيت شعرة بيضا، أول شعرة بيضا في حياتي.

* * *

ابتديت رحلة من غياب السلام الداخلي في حياتي، انتهت عند الكتاب ده، وخصوصًا الفصل ده بالتحديد، اللي قعدت أكتب فيه على مدار ٥ سنين، وكل مرَّة ما باقدرش أكمله.

أشيل وأحط، أكتبه تاني من الصفر، وألاقيه طلع بنفس الكلام، بنفس الترتيب، بيطلع هوَ هوَ كل مرَّة بنفس المشاعر، اللي حاولت قدر ما استطعت إني أشيل منها كتير.

بعد سنين من... تقدر تقول كده «التخبط»، قدرت أوصل للاستنتاج العقلاني والأخير، المريح نفسيًا: أبويا ما كانش وِحش أو شرير، بس كان فاقد القدرة على التحكم في ردود أفعاله، لسبب ما أيًا كان، نفسي، طبي، الله أعلم. وأنا كابنه، وباحبه غصب عني، الموضوع كان مسببلي أزمة نفسية كبيرة: إزاي حد ممكن يحب حد أوي كده، ويأذيه أوي كده؟ إزاي؟! مش منطقي! دا أنا طفل حتى مش هاعرف أحمي نفسي منك! الموضوع أثر فيَّ أكتر من أي حاجة في الدنيا، وقدام نفسي يا إما كنت باحاول أكرهه عشان أسهِّل الموضوع، يا إما كنت باحاول أدوَّر على تفسير. وفضلت سنين أدوَّر لنفسي على سبب مقنع يبررلي أفعال أبويا، يبررلي ليه أبويا ما كانش الأب المبتسم الروش زي اللي باشوفهم عند صحابي في البيت وبييجوا يهرجوا معانا دول.

اللي أنا متأكد منه، أو اللي اتأكدت منه لاحقًا يعني، إنه كان بيحبني، وشه في سرير المستشفى حاجة ما تتشرحش، حاجة

مش هيفهمها غير اللي مر بيها، بس خدت سنين كتيرة أوي عشان أصدق، وخدت سنين أكتر في الندم إني ما فهمتش ده بدري شوية!

هافضل طول عمري شايف الحلو في أبويا بس.

أبويا كان ذكي، وعظيم، وراجل.

وكان تَعبان.

زي أي حد فينا.

درس واحد مفيش غيره: سامح أي حد من أهلك قبل فوات الأوان، لو مش أهلك مش مهم، ما تسامحهمش، براحتك، يتحرقوا، ده مستوى من التسامح مش هدفي هنا دلوقتِ، حلو إنك تسامح كل الناس، بس أنا باحاول أبقى محدَّد هنا، اللي أقدر أقولهوولك بثقة: سامح أبوك، وأمك، وإخواتك، وقُلهم إنك بتحبهم، إلحق اللي عايش منهم!!

لو كل الأدلة بتقول إن شخص ما بيحبك، وفيه أفعال تانية بتقول عكس كده، الأفعال دي في الأغلب بتكون غصب عنه.

دي بالنسبة ليَّ من أهم الحاجات اللي هاقولها في حياتي بصفة عامة.

كان نفسي يفضل موجود لحد ما أكبر وأعقل وأفهم، وعلاقتنا تتحسِّن، وأسلمه لربنا تسليم طبيعي ومريح نفسيًّا، بس السرطان مرض لعين!

وبما إني نفسي بقى، فكان نفسي إني أشوف الحلو بس من

أبويا في حياته، وما يحصلش كل ده، وما أروحش في الدوامة دي، عشان خدت سنين كتيرة أوي عقبال ما رجعت منها!

وكان نفسي أسيبله سيجارة!

بس كنت حمار!

قراري في النهاية، إني يوم لما أكون أب، هاعمل كل حاجة تخلِّي ولادي سهل يصدقوا إن حد بيحبهم، ومش هاعمل أي حاجة تصعَّب عليهم ده.

7#
لما ماكُنتش باشرب ميه

هناك علاقة وطيدة بين جسم الإنسان وحالته النفسية والجسدية، والسوائل.

لو تعرضت لدرجات حرارة متفاوتة، أو تغييرات مفاجئة في درجة الحرارة، فيه سوائل بتخرج من مناخيرك.

لو تعرضت لدرجات حرارة عالية، جسمك بينتج سوائل عشان يبرَّد نفسه.

لو جالك تسمم من أكل ما، فيه سوائل بتخرج من مؤخرتك أو بُقك، أيهما أقرب، وعلى حسب شدة التسمم.

لو شعرت بالنشوة، جسمك بيخرج سوائل، مش كتير بس بتبقى لحظات جميلة.

لو تعرضت لجرح ليس بالضرورة غائر، بتنزف سوائل، أو جسمك نفسه بيكوِّن سائل لغلق الجرح.

لو تعرضت لموقف محزن أو ضغط نفسي أو عصبي، بتخرج سوائل من عينيك وممكن جبهتك ومناطق أخرى.

لو تعرضت لظلم أو قسوة، عينيك بتخرج منها سوائل.

لو تعرضت لفرحة كبيرة بعد حزن عميق، عينيك بتخرج منها سوائل.

لو تعرضت لألم غير محتمل، عينيك بتخرج منها سوائل.

لو حسيت بالانتصار، عينيك بتخرج منها سوائل.

لو حسيت بالهزيمة، عينيك (ربنا يكون في عونها) بتخرج منها سوائل.

الغريب إن أغلب السوائل دي بتخرج من أي حتة (بُقك، مناخيرك، مؤخرتك، تحت دراعك، جبهتك، إلخ) لو الموضوع جسدي، بس كل ما هو نفسي بتخرج السوائل من عينيك في الأساس، ثم مناطق أخرى. مفيش حد خسر ماتش في كاس العالم وراح قالع الشورت وراشش إسهال متين على النجيلة بكل حزن وندم وبيخبط بإيديه على الأرض، أو واحد أبوه مات وواقف في الجنازة معاه مناديل بيمسح بيها باطه وبيقول هتسيبنا لمين، أو واحدة جوزها زعلها فراح مصالحها وبص في عينيها برومانسية ودفء وماسح... بُقها (مشيها بُقها) بإيده بكل حنية.

عمري ما فهمت العلاقة بين العينين والحالة النفسية، هل الموضوع ليه علاقة باللي بتشوفه حرفيًّا؟ هل دي محاولة من العقل إنه يغسل اللي إنت شفته؟ وليه مش بتطلع سوائل من

ودنك لو سمعت حاجة مزعجة مثلًا؟ أو إيديك تفرز ديتول بعد ما تسلم على حد خرج من الحمَّام وما غسلش إيده؟ هل عشان العينين هيَّ المركز الأساسي للـ«input» بتاع المخ؟ وليه الدموع مالحة؟ هل الموضوع ليه علاقة بالبحر؟ وهل ده يخلِّي الناس بتاعة «لما باقف قدام البحر باحس إني ارتحت نفسيًّا» معاهم حق؟ هل الحل في الملح؟ طب لو كده، ليه الملح بيجيب إسهال لو تناولته بكميات مع ميه، اللي هوَّ هوَّ الدموع؟ كل ما آجي أفكر، الموضوع يدخل مني في عمق وكونيات وحاجات مش أدها، بس فعلًا نفسي أفهمه.

كان نفسي أنهي الموضوع ده بعمق، وأشبه نوعيات الناس نفسهم بالسوائل، وإزاي بيختلفوا في مستوى نقائهم ولزوجتهم ولونهم وطعمهم.

الحقيقة الكلام ده هدفه إني أفكر الناس تنزل البحر، تستخدم الملح، وتشرب ميه كتير، عشان أكتر من سبعين في المية من تكوين جسمك سوائل.

#9
لما فتشت في الماضي

بصوا يا قُرَّاء...

من الآخر، وبكل ثقة، كنت حمار لما باحن لكل علاقة قديمة فشلت وأحاول أصلحها مرَّة تانية، بسبب إحساس زائف إني لو غيرت حاجة معينة فيَّ، العلاقة دي ممكن ترجع أحسن من الأول.

كنت مش حمار، كنت كروديا. الشتايم القديمة دي ليها مذاق تاني والله!

في العلاقات الإنسانية، والعلاقات بالجنس الآخر تحديدًا، لقيت إن الصفحة اللي بتتقفل بتتقفل لسبب، العلاقة اللي بتوصل لنهاية حتى وإن لم تكن النهاية الحقيقية، فهي علاقة منتهية، والموضوع اللي بيوصل لرغبة في الانفصال مرَّة واتنين وتلاتة، بيبقى موضوع مخيش تخييشة توتال لوس، وكأن القدر

يحاول إبلاغك بشتى الطرق: «مش جاية يا معلم، ما تقاوحش، ما تقاوحش يا ابن الجزمة!».

وصولك لرغبة مؤكدة في الانفصال، حتى وإن كانت لحظية، هو تنبيه من نفسك لنفسك إن الموضوع ده غالبًا هيكون له نهاية دائمة، سواء بسببك، أو بسبب الشخص التاني.

إحدى أكبر مشاكلي كانت إن تقريبًا مفيش بنت في حياتي انفصلت عنها وما رجعتلهاش تاني!

كنت أسيبهم وأرجعلهم، أسيب عن قناعة، وأرجع عن قناعة أكبر!

كل مرَّة ده كان بيحصل، كانت النهاية المأساوية أو الدرامية، أو العادية السلسة حتى، بتتحوَّل لنهاية أكثر مأساوية وأكثر درامية.

كل مرَّة كنت باحاول أصلح، كنت، غير مدرك، بابوَّظ الموضوع زيادة، أو فاكر إني بابوَّظه زيادة، عشان أكون دقيق.

كل واحد فينا كان بيحاول يدِّي للشخص الآخر فرصة تانية إنه يبقى، المرَّة دي، النسخة الأقرب للي هوَّ عايزه منه، وكل مرَّة كنا بنفشل.

يمكن عشان كل واحد عنده في دماغه صورة محددة للي هوَّ عايزه في حياته من الشخص الآخر، بعيدة تمامًا عن واقع الشخص الآخر، بس كان فيه دايمًا مشاعر وانجذاب صعب تفسيرهم بيشدونا لبعض حتى وإحنا عارفين إن الصورة دي مستحيل تتحقَّق.

اختيار خاطئ من الأول، بس لسبب ما كنت بامشي بنفس الأسلوب!

نسيب بعض وأنا عارف إنها مش هتنفعني ولا هانفعها، وتوحشني، ولسبب ما يعلمه الله أقول لنفسي إني ظلمتها. الصوت اللي كان في دماغي كان بيقولي كده، إني ما إديتهاش فرصتها، وأرجع أكلمها، وأحاول معاها تاني، ونرجع، وأتصدم أكتر، وأكتشف إني ما ظلمتش حد غير نفسي، مستني حاجة معينة، تصرفات معينة، كلام معين، وكله ما بيحصلش! ونسيب بعض تاني عشان حمار ومش شايف من الأول إننا فعلًا ما ننفعش بعض مهما حاولت، الصدمة دي طبعًا كانت بتولد حمار جديد!

فيه علاقة من العلاقات، خدت من عمري أربع سنين، أون آند أوف، «روس» آند «راتشيل» في نفسنا جدًّا، بس من غير الإفيهات الخفيفة الفاميلي فريندلي.

علاقة ترفض وتأبى أن تنتهي مهما حصل، وبتفرض نفسها على حياتي في أي وقت، أو عشان أكون محدد، في أي وقت باكون ابتديت أتعافى منها وأبقى كويس.

كل مرَّة كنا بنرجع، قلبي اللي كان عبيط كان بيفتكر إن خلاص هيّ دي المرَّة الناجحة اللي هنبقى فيها مع بعض للأبد، وهنحضن بعض ونشبك إيدينا للأبد، ونقعد على مرجيحة بيت كبير في الجنينة ونحكي حكاية حبنا لأحفادنا. وكل مرَّة كنا بنسيب بعض كنت باتأكد أكتر إننا لا نصلح لبعض.

حاولت أفهم نفسي في العلاقة دي تحديدًا: ليه باعمل كده؟ ليه بارجع لنفس الشخص اللي أنا مش عايزه؟

قلت يمكن قلبي كان يعاني من بعض العلوقية العاطفية، بالإضافة لعقدة الذنب اللي كنت باعاني منها وتخلصت منها للأبد، واللي زي المغفل كنت دايمًا باحكيها لأي واحدة باحبها، وهُمَّ ما شاء الله بلا استثناء كلهم استخدموها ضدي عشان يرجعوني، حاجة وسخة جدًّا.

بعض الستات الحقيقة يعني عندهم القدرة، لو عرفوا إنك شخص إحساسه بالذنب عالي، إنهم يقولولك جملة حرفيًّا «ترقدك»، جملة واحدة، بس تنيمك على بطنك في هاوية من جلد الذات، هوك، بذرة بتزرعها في دماغك وتسيبها تنمو وتترعرع لعقدة ذنب جديدة، وهم إنك ظلمتها، وإنك كنت إنسان مش كويس وقاسي ووَحش كاسر وميكس فريد شوقي على توفيق الدقن على زكي رستم على أندر تيكر.

كانت بتقدر تقنعني كل مرَّة إني أنا الـ«villain» في القصة. وعشان أغلب البشر من جواهم كويسين، وعشان رد فعل طبيعي إنك تحاول تثبت إنك مش وحش، وإنك مش بالسوء اللي بيتقال عنك في وشك، بترجع وتحاول تثبت العكس، حاجة كده زي فيلم «إينسيبشان».

الشيء اللي دفعني إني أستثمر وقت ومجهود كبير في التخلص من هذا المبدأ إلى الأبد: الذنب. خصوصًا في هذه العلاقة اللي

كنت شايفها سامة جدًّا، واللي سببتلي الكثير من الأذى اللي ما كنتش باشوفه، بمعنى، بمجرد دخولها في حياتي ـ أو عودتها بمعنى أصح ـ كنت دايمًا باقع، وقعة صريحة لا قومة بعدها، كانت بتنهيني كإنسان كل مرَّة، وكل مرَّة بنفس الطريقة، وبتتكرر نفس السيناريوهات اللي بتحصلي كل مرَّة: مشاكل في الشغل تنتهي بإني أسيبه، مشاكل في علاقاتي مع الناس، مشاكل في تعاملاتي بصفة عامة وحالتي النفسية.

مهما كنت عالي وطاير في السما، كنت باقع! كانت بتوقعني!

كنت باحبها للأسف، وجوايا جزء شايف الغلط في حياتها وفي شخصيتها ومتقبِّله، وحاسس إني عندي القدرة إني أساعدها وأغيره وأصلحه، وأحس إن حياتي ليها معنى بإني أكون النور في حياة حد باحبه.

إنها عقدة المسيح المخلص، بحثك عن الخلاص من خلال جذب المدمرين نفسيًّا، ومحاولة إصلاحهم، والانتهاء بتدمير نفسك في نفس العملية، وخسارتك لكل شيء، بما فيهم الشخص اللي كنت بتحاول تنقذه.

كم من مرَّة أحببنا شخصًا يكره نفسه، فكرهنا أنفسنا بالتبعية!

أقدر أقسم بالله وبكل ما هو مقدس باسمه، إن اللي بيكرَّهك في نفسك مش بيحبك! بس خلِّينا في المهم دلوقتِ.

فضلنا نسيب ونرجع، ونسيب ونرجع، وكل واحد بيكتشف

جزء جديد من شخصيته في كل مرَّة بنرجع لبعض، لحد آخر مرَّة، اللي كانت مميزة جدًّا الحقيقة، كانت حاجة كده زي الأفلام اللي فيها «Plot Twist».

هدية من ربي العظيم...

قبل هذه المرَّة كنت اشتغلت على نفسي جامد، من ناحية الشغل ونفسيًّا وماديًّا وكل حاجة، كنت في أعلى نقاط حياتي، في حالة نفسية أحسن من أي وقت مضى، وأكتر من أي مرَّة سابقة رجعنا فيها لبعض، كنت حاسس إني مسيطر على زمام أمور نفسي... ولقيتها قدامي، وحسيت وقتها بصراحة إن الدنيا هدتها وهدتني، وحسيت إنها قدري وإني قدرها، إحساس زائف وكلب وجزمة وحيوان، وكل الشتايم البناتي اللي في الدنيا!

خدت قرار مهم أوي، بعد أربع سنين ضاعوا من حياتي في إحساس بالذنب معاها، وكلمات معينة منها كانت لسه بترن في ودني، وتطرحني أرضًا، قررت إني هادخل هذه العلاقة مسيطرًا سيطرة تامة على أقوالي وأفعالي، وهاعمل كل حاجة صح زي ما الكتاب بيقول، ومش عارف أنهي كتاب اللي بيقول إيه بس القصد يعني.

بالفعل، دخلت العلاقة دي دحيح، باجاوب كل الإجابات النموذجية، باعمل كل حاجة ولا في الأفلام.

كنت خارج من فيلم «ديزني»، كان ناقص بس أخدها ورايا

على حصان أبيض ونمشي بيه على البحر بالتصوير البطيء، وشعرها يتطاير ويدخل في بُقي.

كنت شايف كويس أوي أوي أنا باعمل إيه معاها، باكتبه حتى على ورق عشان ما أنساهوش، أو عشان هيَّ ما تنسيهوليش بمعنى أصح.

كل حاجة كويسة وكل قرار سليم باسجِّله:

افتكر يا هشام.

إنت كنت كويس يا هشام.

إنت كنت رومانسي.

إنت كنت جدع.

إنت وقفت جنبها.

إنت استحملت.

إنت نضيف.

إنت بتعاملها أحسن معاملة.

إنت ما غلطتش.

إنت ما قلتش حاجة جارحة.

افتكر كل حرف قلته، وكل تصرف عملته يا هشام.

اصحى!

فووووق!

ومع أول خناقة شفت اللي كان بيحصل فيَّ لمدة أربع سنين.

شفت إني كان بيتلعب بيَّ كرة، وكرة رخيصة كمان!

شفت إني كان بقالي أربع سنين بالوم نفسي على حاجات ما عملتهاش، بس هيَّ كان عندها القدرة إنها تقنعني إني عملتها... قدرة خارقة!

شفت أسلوبها اللي كان بينقسم لأربع خطوات ثابتين كل مرَّة:

١ـ هدم ثقتي في نفسي بشتى الطرق، وتبقى هيَّ دايمًا المصدر الوحيد اللي ممكن أتأكد منه أنا باعمل أي حاجة صح ولَّا غلط.

٢ـ تشويه صورتي قدام نفسي، أشوف نفسي وِحش دايمًا إلى أن تثبتلي هيَّ العكس، وما ينفعش حد غير هيَّ.

٣ـ استغلال عقدة الذنب اللي كانت عندي في إنها دايمًا تحسسني إني أذيتها أذى ما يتوصفش.

٤ـ استجماع أي طاقة ممكنة للسيطرة عليَّ. أي.. طاقة.. ممكنة.

شفت كل حاجة بوضوح.

شفت اللي كان كل الناس اللي حواليَّ بتصرخه وأنا مش سامعه.

شفت إني كنت حمار فعلًا، حمار قلبه أبيض جدًّا، ومش مدرك إن فيه طاقة خفية هيَّ اللي بترجعني كل مرَّة لشخص أنا متأكد تمام التأكد إني ولا عايزه، ولا باحبه، ولا ينفعني.

كنت للأسف عايش مع واحدة تعبانة نفسيًّا، ممكن تعمل أي حاجة، وخلِّيني أشدد على النقطة دي، أي حاجة بمعنى أي حاجة، عشان تخلِّيني جنبها مش أكتر.

ولما ربنا أراد إني أشوف، دي كانت أول مرَّة في حياتي أتخلص من إدمان هذه العلاقة للأبد، الموضوع فعلًا انتهى في اللحظة دي، وفقدت الرغبة في المحاولة فيه تاني للأبد.

كانت صعبانة عليَّ مش أكتر.

بس أقولك على حاجة بقى؟ زعلت.

حتى وأنا مهيأ نفسي، حتى وأنا كبير يا جدعان (بصوت سعيد صالح).

ليه؟ عشان كنت باحبها، بدون أي مؤثرات خارجية، ودي حاجة كرهها لنفسها خلَّاها عمرها ما هتقدر تشوفها!

ووقعت في دايرة مراجعة نفسية رهيبة للسنين اللي استثمرتها في هذه العلاقة، وشفت حاجات أكتر.

عمرك سألت نفسك بعد ما فركشت مع حد في لحظة غضب: إنت ليه فركشت؟ الصوت اللي جوه دماغك اللي عمَّال يقولك «انهي الموضوع دلوقتِ حالًا» ده جاي منين؟ ما هو أكيد طالع من حتة. بعد سنين طويلة وبحث مضني مع النفس، اكتشفت إن الصوت ده نابع من جواك، مفاجأة فشخ، صح؟ مش جواك من القولون مثلًا، بيبقى من عقلك الباطن، بيقولك الموضوع ده مش نافع يا معلم، عقلك بيصرخ صرخة شبيهة بصرخة نادية الجندي وهيَّ بتتعذب في سجون إسرائيل في أفلام التسعينيات، اللي كانت شبيهة أوي بشقق المهندسين.

صرخة من عقلك الباطن بيقولك: «أنا شفت كل حاجة غلط

في الشخص التاني، ومش عاجباني، ومش قادر أعيش معاها، وإنت بتكارك في الهوا».

عقلك بيحاول يقولك إنت على طريق السويس وإحنا رايحين إسكندرية، أو بيقولك هات بيتزا وإنت بتجيب هابي ميل.

أو، وده احتمال لا يقل في نسبته برضه، عقلك بيطالبك إنك ترحم الشخص التاني من نفسك، ومن اللي إنت بتعمله فيه، لأنك مش قادر تشوف نفسك.

رسالة استغاثة من عقلك الباطن بيطالبك فيها إنك تختار صح، أو إنك تعلي نظرتك الدونية لنفسك اللي بتخلِّيك تختار أقل مما تستحق، أو تقلل نظرتك النرجسية اللي بتخلِّيك تختار أكثر مما تستحق، أو تبطل اختياراتك غير المنطقية من الأول، أو محاولة لتنبيهك إنك عمَّال تظلم ناس بتحبك وإنت مش واخد بالك، أو حتى، ودا الأهم، إن شكوكك كلها في محلها بس إنت اللي بتخدع نفسك.

عقلك الباطن في كتير من الأوقات بيبقى أذكى منك، وشايف حاجات إنت مش شايفها، بس مش عارف يتكلم معاك، وإنت بتكون عايش في أحد تجليات مصطلح «البرشام سايق»، حتى لو ملكش علاقة بالبرشام.

كتير مننا مش فاهم دور العقل الباطن ده إيه، بس خلِّيني أوضح دوره حسب رحلة البحث المضنية اللي قضيتها وراه.

عقلك الباطن دوره الأول والأساسي: حمايتك.

أوحش حاجات حصلت في حياتي ووقعتني، كانت من ستات!

بس برضه أحلى حاجات في حياتي، واللي قومتني، كانت من ستات!

فيه ستات جميلة أوي أوي أوي يعني، لأبعد الحدود، أجمل من ألوان الطيف واليونيكورن ومشهد الغروب على البحر وكل حاجة في الدنيا، أجمل من أجمل حاجة في الدنيا، بس برضه فيه ستات شريرة، لأبعد الحدود، أشر من شخصيات مسلسلات القناة الأولى في التسعينيات، الأوفر اللي ضاربين شعرهم أكسجين وعاملينه فرنشة دول.

شفت ده، قابلته، موجود والله.

قدرة غير آدمية على الشر، وكأنهم دراع الشيطان اليمين، أو الشيطان نفسه هوَّ اللي دراعهم اليمين، الصبي بتاعهم.

الحقيقة، الشيء الوحيد اللي عمري ما قدرت أفهمه، هو كره الست لشخص مش عايزها، ما أذاهاش، ما جرحهاش، ما جاش عليها بأي شكل من الأشكال، ولكن هو مجرد شخص لم يشعر بالانجذاب ليها، أو كان معاها في علاقة وقرر إنه مش عايز شكل العلاقة ده تاني، مش حابب يكون معاها.

بتحصل، عادي، أو أنا كنت فاكر كده يعني، لأني ما كنتش فاهم حجم كبرياء الست القوية القادرة دي، وهيَّ كبرياء تكاد تصل في حجمها إلى كبرياء إبليس لما رفض يسجد لآدم.

والتزامهم التام وحجم الـ«dedication» لتدمير هذا الشخص، يكاد يتساوى في حجمه بالتزام إبليس بتدمير حياة آدم وإغوائه وإبعاده عن الطريق الصحيح.

زمان في الأفلام كنت باشوف الست اللي عايزة تنتقم من راجل، فتروح لساحرة أفريقية أو مغربية وتطلب منها يا إما ترجعه ليها بالعافية، يا إما تدمرله حياته. وكنت فاكره خيال. عمري، عمري، عمري تالتة كمان، ما كنت أتصور إن ده ممكن يحصل في الحقيقة! عمري ما تخيلت إن حد يبقى عنده قدرة صريحة على الأذى، ويكون عايش وسطنا عادي، وبيخرج وبيهزر وبينزل ستوريز على انستاجرام عادي جدًّا، ولا كأنه فشخ حد في حياته، ولا كأنه بيحاول يدمر حياة إنسان ما أذاهوش في حاجة!

القصة كلها في مبدأ «إزاي»: إزاي ما تحبنيش؟ إزاي ترفضني؟ إزاي ما تبقاش عايزني؟ إزاي تقولي لأ؟

معركة كبرياء لهذا الشخص مع نفسه، إنت بتدخل فيها بدون ما تكون طرف فيها حتى.

اللي هوَّ أنا مالي يا معلم!

كل ما بتكبر وبتشوف في الدنيا، بتفتكر المشاهد والشخصيات الأوفر اللي كانوا في مسلسلات وأفلام زمان دول، اللي كنت دايمًا تتريق عليهم، وعلى طريقة تصويرهم وأدائهم السمج السخيف الأوفر في الشر، وبتكتشف إن الواقع مش بعيد أوي عن كل اللي

إنت كنت فاكره مبالغة ده، بل هو يكاد يكون متطابق، سواء في رحلة البطل، أو في حجم الشر الموجود داخل الـ«villain» اللي يوسف بيه وهبي شخصيًا كان ممكن يفشل في إنه يقدر يصور حجمه. ويوسف بيه ده كان سفير جهنم، شوف يا مؤمن، بس والله كان كيوت جدًا جنب ناس موجودين في الدنيا!

في نفس ذات الوقت، هتلاقي إن فيه ستات كده، ملايكة رحمة ونور وجمال وحب، في الشكل وفي الروح.

عشان ربنا كان كريم معايا، فيه دول برضه.

فيه ستات أعرفهم أنا، على أتم الاستعداد إني أجيب جناحين وأنبوبتين أمير وألزقهم بنفسي على ضهرهم.

إنتِ.

فيه ست هتشوفك في أزمة، قلبها هيحس بيك، وهتلاقيها بتحاول تساعدك من بعيد لبعيد، من غير ما إنت تعرف حتى.

هيَّ حست بس، وعايزة تساعدك.

قد تكتشف بالصدفة بعد مرور وقت طويل كمية المساعدة اللي كانت فيه واحدة ما تعرفهاش كويس حتى، بتقدمهالك، بدون مقابل، وبتفهم كلمة «ملاك».

فيه ست تانية بتقدر تشوف جواك اللي إنت مش قادر تقوله، وبتتفهمه، وبتحاول تحلهولك، بتحاول تطبطب عليك، لوحدها، من غير ما تطلب منها حاجة... ملاك.

فيه ست بتحس بيك، وفيه ست بتطبطب عليك، وست

تخدمك بقلبها، وبعينيها، وست تديلك كل وقتها، وست تديلك عمرها، وست تفضل جنبك حتى لو بينكو بلاد.

الحمد لله، كنت محظوظ كفاية إني أقابل كل دول، وأحس أد إيه كيان الست لما بيبقى روحه حلوة، بيبقى كيان عظيم، كيان يستحق الحب والإخلاص والتقدير، كيان في غاية الحلاوة والجمال.

تقريبًا في كل مرَّة كنت باقع في حياتي، كان اللي بيقومني واحدة ست، باستثناء مرَّات معينة.

ولما كنت فاكر إن دول الستات، وبصيت على أمثلة تانية، اكتشفت إن الموضوع سواء خير أو شر، مش مقترن بالستات بس، فيه رجالة جواهم شر يكفي لإضاءة مدينة متوسطة الحجم!

فيه رجالة برضه بيدمروا ستات لمجرد إنهم رفضوهم، تدمير صريح لمجرد إنهم ما كانوش عايزين، بس كده. وبينتقموا منهم انتقام واضح وصريح، وبيحاولوا يدمروا حياتهم بشتى الأشكال، شفت من ده قدام عيني برضه.

فيه رجالة تانيين، ممكن يدوا واحدة عمرهم، أو يفضل جنبها بكل الأشكال في حياتها إلا إنه يكون حبيبها، شفتهم دول برضه، وقلبي معاهم وربنا يكون في عونهم.

القوة بتبين طبيعة الشخص الحقيقية: كل ما الشخص ازدادت قوته ونفوذه، بقى أسهل عيوب شخصيته تبان، وأول عيب بيبان دايمًا بتكون هيَّ الكبرياء اللعينة!

كنت فاكر إني حمار برضه لما كنت باختار حد ـ من وجهة نظري ـ جريح، وأحاول أبقى المسيح المخلِّص في حياتهم، وأخلط الحب بالتعاطف والرغبة في التغيير والإصلاح، بس في الواقع وبكل بساطة، الفكرة كانت إنك بس مش هتقدر تساعد حد وإنت محتاج مساعدة، ومش هتقدر تدِّي وإنت محتاج. زي الطيارة كده، بيقولك البس الماسك بتاع الأكسجين الأول وبعد كده ساعد اللي جنبك.

* * *

الخلاصة يعني...

الماضي لو كان عنده حاجة جديدة يقدمها ما كانش بقى ماضي، فمش أي ماضي تندم وتلوم نفسك عليه.

لكن... لو إنت في الحاضر كويس، واشتغلت على نفسك، وفهمت نفسك، وحليت مشاكلك، لو فيه ماضي اللي ما كانش المفروض يكون ماضي، هيفرض نفسه عليك تاني من غير حتى مجهود منك، عشان القدر والنصيب أكبر من الزمن.

نصيبك دايمًا هوَّ اللي بيدور عليك، ما تدورش، ما تدورش يا صاحبي!

اشتغل على نفسك.

11#

لما غنيت «ما تخافيش» لبنت البواب من البلكونة

كان يوم صيف جميل في بيتنا القديم في منشية البكري، يوم من أيام أواخر أغسطس اللي هيَّ بتبقى شمس بس فيها نسمة هوا، والجو وقتها ما كانش بقى بهذه القذارة اللي وصلها دلوقتِ، ما كانش لسه فيه هذا الكم من التلوث وعادم السيارات وكومبريسورات التكييفات والتراب المجمع جنب الرصيف بدون أي مبرر، كان لسه الجو فيه شوية صفاء ونضافة، ما تحسش بالفرق بين وقتها ودلوقتِ غير لو كنت عايش في الثمانينيات والتسعينيات، والهضبة كان منزل شريط جديد: «ما تخافيش». ما كانش لسه عمرو دياب اكتسب لقب «الهضبة» وقتها طبعًا، بس كان راكب الساحة وفي طريقه ليه.

أصل مين كان قدامه؟ هشام عباس؟ ما كانش منافس أوي،

ولا بيحاول ينافس حتى، عشان كده كان محبوب وما زال، كان مبسوط إنه بيغني بس، ومش مصدق أصلًا إنه بيغني، وهو ابن ناس ومش بيعمل كده عشان الفلوس أو الشهرة، والدنيا كانت تمام.

محمد فؤاد كان برضه مش منافس، لأنه صوت مختلف، وواخد سكة ابن البلد من بدري، وبرضه مش بيحاول ينافس، بيعمل شغله وراضي بنصيبه، وعشان كده برضه كنا بنحبه.

حميد الشاعري كان لون لوحده مش لهدف إنه يكسَّر الدنيا. حميد الشاعري وقتها كنت تحسه منظمة غير هادفة للربح، لو هبت عليه وحَب ينزل ألبوم هينزل، مش جاية خلاص مش جاية.

عمرو كان الوحيد اللي فعلًا بيبذل قصارى جهده عشان ينجح، وصوته، غير إنه مميز فشخ، كان فيه حتة وجع كده من غير ما يتكلم عنها، كان فيه نبرة ألم كده تحمل صورة شيرين رضا، وآخرين غالبًا.

حتة كانت ملمَّسة مع كل الشباب وما زالت، اللي هوَّ أنا تعبان بس مش هاقول بس إنتو عارفين، إحساسه كان وما زال عالي جدًّا، ووقتها كان بيسمعه الأهالي والأطفال والشباب والكل. فيه سفريات كاملة لإسكندرية ما كناش بنسمع فيها حاجة طول الطريق غير عمرو دياب، رايح جاي، نفس الشريط، لمدة ساعتين تلاتة متواصلة.

الشريط ده كان بيمثلي في المرحلة دي كل حاجة في الحياة

حرفيًا. أنا طفل، مش باخرج، ولا باسافر، ولا بانزل آخد درينكين، ولا باعدِّي على صحابي، ولا بيعدُّوا عليَّ، ولا جايلي نسوان البيت، ولا باروح لنسوان البيت، ولا فيه نسوان، ولا فيه بيت من أساسه، والعملية في أقصى درجات نشفانها المنطقي لطفل عنده ٦ أو ٧ سنين. بس كنت حسَّاس، وما زلت يعني على بعض المستويات، على الرغم من إني بقى فيَّ دلوقتِ نسبة حلوف لا يُستهان بها، نسبة مكتسبة من السن، واللي عملته في نفسي والآخرين واللي اتعمل فيَّ من الآخرين، بس فيَّ جزء حسَّاس وعِلق ورومانسي وشفَّاف كده مش باعرف أتخلص منه، بقيت يمكن باعرف ألجمه كويس وأدفنه جوه في غياهب الذات.

الجزء ده بقى يا معلم وهو عنده ٦ أو ٧ سنين سمع أغنية «ما تخافيش» من هنا، وحصله هزة في كيانه، حصله شحن عاطفي غريب! جرب اسمعها كده وهتفهم قصدي.

الفكرة إن عمرو دياب مشكلته إنه بيغني اللي هوَّ حاسه بس، والإحساس ده بيلبس في وشك لو إنت في نفس الموقف. و«ما تخافيش» دي كانت فعلًا واحد بيحب واحدة بجد، وعامل أغنية بس عشان يطمنها إنه مهما حصل هيفضل يحبها، كان طاير بمشاعره ليها، ولحد دلوقتِ بيصعب عليَّ عشان الأغنية دي، والنزلة اللي نزلها من التحليقة اللي كان محلقها في السما دي.

لو إنت طفل بدون أي موقف زيي كده في الوقت ده، كنت

هتبقى بتتمنى إنك تعيش الموقف ده من كُتر الإحساس ما هو واصلك، وفي اللحظة دي، بعد ما كنت سمعت «ما تخافيش»، كنت حاسس بحالة شديدة من الهياج العاطفي، طفل حاسس بالحب في أغنية وعايز يحسه هوَّ كمان.

شبطان خلاص.

تجوَّلت في الشقة وأنا عمَّال أغني الأغنية، أدخل أوضة ألاقيها فاضية، أوصل للمطبخ ألاقي أمي جوه بتقولي أناولها حاجات، أروح متجاهلها وخارج من المطبخ وأنا لسه باغني، وأفضل ألف في الشقة، لحد ما اكتشفت إن مفيش حاجة هنا أغنيلها.

رُحت في اللحظة دي طالع على البلكونة، المهرب الوحيد والملجأ الوحيد لطفل زبي، وجوده في الشارع مقترن بأبوه وأمه، وحياته الاجتماعية شبه منعدمة. وطلعت أغني فيها بصوت عالي، وأنا حاسس كل كلمة، باغني في المطلق، باحب سور البلكونة، الهوا، العمارات اللي قدامي.

مشحون حب، أسند على السور، وأسرح في الشارع والسما والمواطنين، بادور فيهم على وش عايز أديله كل الحب اللي عندي ده، حد يبصلي بصة، بصة واحدة كانت كافية إني أوهب لهذا الشخص (أيًّا كان) مشاعري الطفولية المشحونة عاطفيًّا... وما لقيتش.

مشاعري كانت أقوى من إني أقف، وفضلت أغني مع الأغنية، وأبص لكاميرا وهمية، وأنا فارد دراعاتي على السور كأني باصوَّر

فيديو كليب! قمة في البؤس والعته، أعتقد كان هوَّ ده التشرد الأطفالي تقريبًا!

في الحتة اللي بعد «مع حب تاني تاني» كنت باسكت، وأسيب المزيكا تكمل دندنة في دماغي، عشان ما أبوظش الأغنية، وأكمِّل لف على سور البلكونة...

وأنا بالف، لقيت مين تحت البلكونة؟

قول كده مين؟

أقولك أنا مين...

بنت البواب، دعاء بنت عم عثمان، بشعرها الأكرت اللي واخد شكل الضفيرة الواحدة زي أي بنت في هذا الوقت والسن، بغض النظر عن المستوى الاجتماعي، دعاء بعينيها السودا الواسعة، وفستانها البينك، بينك فلاحي عليه ورد صغير وكشكشة من عند الوسط، دعاء اللي كنت باشوفها كل يوم وأنا راجع من المدرسة وهيَّ راجعة من المدرسة برضه، بس عمري ما حسيت بحاجة ناحيتها.

كانت هيَّ اللي قدامي، وجت في الوقت الغلط! كانت معاها لعبة وخارجة تلعب بيها في الشارع بكل براءة، غير مستوعبة إن فيه ذئب بشري عاطفي في البلكونة بيبحث عن فريسة، حاجة كده ميكس حمدي الوزير على محمد محيي.

في اللحظة دي، كانت الدندنة اللي في دماغي بتاعة الحتة الموسيقية خلصت، وجت الحتة اللي المفروض أكمِّل فيها غُنا تاني عشان ما أبوظش الأغنية بقى. رُحت بأعلى صوتي فاتح فيها:

ما تخافيش أنا مش ناسيكِ
ما تخافيش لو مين ناداني

كمِّلت وأنا عمَّال أتحرك على السور كأني عصفورة محبوسة في قفص، كأني عادل إمام في فيلم «حب في الزنزانة»، وجسمي بيتهز من قوة الحب، ومش مصدق إني لقيت حد أغنيله، وأخلص السور وأوصل لآخره، أروح لا مؤاخذة واخده تاني من أوله!

البنت طبعًا اتخضت فشخ، وراسها رجعت لورا مرَّة واحدة، وعينيها وسعت من الخضة، وهيَّ مش فاهمة المختل ده بيعمل كده ليه!

حُط نفسك مكانها، إنت بتلعب في الشارع بكل براءة وفي كل سلام، ولقيت واحد عمَّال يغني «ما تخافيش»، ويتلوى في البلكونة وهوَّ بيمسك في السور، بحركات درامية كأنه بطنه بتتقطع.

مخضوضة فشخ طبعًا، وأنا بالنسبة ليَّ كنت عايش لحظة من لحظات «أنا عندي مشاعر كتيرة فشخ، وما صدقت لقيتك، هاغنيلك، هاغنيلك كل حاجة»، اللي هوَّ تقريبًا ملخص علاقاتي العاطفية لحد النهارده.

فضلت أغني وأنا باصصلها من فوق، ومن الكادر عندي شايفها مخضوضة، ومكمِّل عادي جدًّا. وفجأة لقيت مِرات عم عثمان، أم دعاء، دخلت في نفس الكادر، وهيَّ بترفع راسها لفوق عشان تفهم إيه الهبل اللي بيحصل ده، صوتي وطي سِنَّة

والحماسة ابتدت تقل، بس كمِّلت، قلت مبدهاش بقى، هاحبها هيَّ وأمها، عندي ما يكفي من المشاعر، مصلحة!

في الكوبليه التاني عم عثمان نفسه دخل الكادر، وإخوات دعاء، وفرج السايس، وعم إبراهيم بتاع الخضار، وصوتي عمَّال يوطى شيئًا فشيئًا لما حسيت إن فيه جمهور أكبر، وفيه ناس قطعوا علينا لحظتنا الرومانسية، بس رغم التحديات كمِّلت الأغنية، عشان أنا كده، حبي محدش يقدر يوقفه!

همَّ بقى مش مستوعبين اللي بيحصل، أم دعاء قربت دعاء منها وحضنتها من كتفها كده، وكأنها بتحاول تحميها من المريض اللي في الدور الأول.

خلصت «مع حب تاني تاني» الأخرانية، وعم عثمان في اللقطة دي كان ابتدى الفار يلعب في عبه، يا إما فيه حاجة بيني وبين دعاء، حتى وإحنا عندنا ٦ أو ٧ سنين (هوَّ راجل صعيدي أصيل، وبالنسبة له المدينة ممكن يحصل فيها أي حاجة)، يا إما طبعًا، وده الاحتمال الأكبر، إني فاضلي كوبليهين كمان وأنزل أغتصب البنت!

خلصت الأغنية من هنا وحاولت أجمَّع اللي بيحصل، وأنا شايف شارع كامل واقف تحت البلكونة بيبصلي باستغراب، وعم عثمان فيه نظرة توعُّد في عينيه، وأم دعاء ودعاء في عينيهم نظرة فزع، وإخوات دعاء الأربعة ما بين مش فاهمين أو عايزين ياكلوني بسنانهم. في اللحظة دي كانت الحماسة راحت، والحب اتحرق بجاز، والمشاعر اتبخرت أسرع من الفلوس الحرام!

دعاء المسكينة كانت خارجة الشارع تلعب، بمنتهى البراءة، هيَّ بس حظها الإسود خلَّاها تحت بلكونتي في لحظة استفراغ عاطفي، وقذفت مشاعري الملتهبة عليها هيَّ وأهلها والشارع كله!

لما استوعبت كل حاجة، خدت في وشي، وطلعت جري على المكان اللي باستخبى فيه لما باكون عامل مصيبة، أو لما بتيجي أغنية برنامج «كاريكاتير» على التلفزيون (أيوه كانت بتخوفني فشخ).

استخبيت تحت السرير، مخبئي المفضَّل. بعدها بخمس دقايق مثلًا، الباب خبَّط تخبيطة مباحث كده خلَّت أمي تجري وهيَّ لسه بتلبس الطرحة من الفزع، وسمعت صوت عم عثمان وهوَّ بيزعق، وأمي بتزعق، ومش عارف إيه اللي حصل بالظبط، ولا حتى إيه اللي اتقال، كل اللي فاكره إن لما بابا جه يوميها، اتشديت من تحت السرير بطريقة أفلام الرُّعب، وخدت علقة بنت تيت!

الخلاصة يعني...

كنت حمار لما قرَّرت إني أبيِّن مشاعري، مش بس فيما يتعلَّق بهذه القصة، بل على مستوى حياتي كلها!

ما تكبتش مشاعرك أبدًا، بس حاول إنك برضه ما تطلعهاش لأي حد معدِّي في الشارع!

13#

لما افتكرت إن البنت حياتها سهلة، والمُزة على الأخص

كان بقالي أسبوع ما نزلتش من البيت، وكارت الكهربا خلص، وعشان ميتين أُم العداد الجديد أبو شحن ده هينزلك من بيتك في إنصاص الليالي عشان تشحنه لو قطع عليك، وعشان ممكن أبقى نايم في التكييف ولَّا فيه حد عندي، وهيبقى موقف زي الزفت، وممكن يضرب الليلة كلها، جاتلي الفكرة العبقرية، وهيَّ إني بعد ما أشحن العداد، آخد الكارت وأشحنه تاني عشان يفضل عندي مشحون في البيت في درج البوفيه، وأول ما الشحن يخلص أروح لا مؤاخذة مطلعه وحاطه في العداد، وما أضطرش أنزل أجري بالفوطة زي أحمد زكي في فيلم «ولاد الإيه».

وعشان كان بقالي أسبوع ما نزلتش من البيت، وده عادي جدًّا في حياتي، قرَّرت إني أحسس نفسي إني خارج، حتى لو نازل

أدور على مكنة فوري حقيرة، بس ليه لأ، هالبس وأحط بيرفيوم ولا كأني أحمد مظهر في «رُد قلبي» نازل يشحن.

ماشي بالليل في الشارع، وباحاول أوهم نفسي إني عندي موعد غرامي وهاقابل الحبيبة، سمعت صوت عربية مسرعة جاية ناحيتي، مشغلين مزيكا بصوت عالي، حاجة لـ«كيتي بيري»، أو أي مطربة أمريكية مراهقة بتعبي شرايط مليانة أغاني عن إزاي نرفع إيدينا لفوق ونستمتع بتجربة الـ«club» اللي هتغيَّر حياتنا تمامًا. بصيت برد فعل تلقائي، لقيت العربية كلها بنات، وأول ما العربية قربت مني ابتدوا يهدوا شوية. كان شكلهم مبسوط شوية، وأنا أعز الانبساط بصراحة. فضلوا يقربوا لدرجة إني شكيت إننا نعرف بعض، وأول ما قربوا طلعت واحدة منهم من شباك العربية اللي قدام بنُص جسمها وهيَّ ساندة على الشباك بدراعاتها، وقالتلي بصوت عالي:

ـ ما تيجي يا مكنة!

وراحوا ضاحكين كلهم، ومشيوا بنفس السرعة اللي قربوا بيها.

وقفت متسمر في مكاني شوية، وعلى وشي ابتسامة زهو مرتبك.

حسيت بمشاعر مختلطة الحقيقة: كنت مبسوط ومتضايق في نفس الوقت!

مبسوط طبعًا إن فيه واحدة شايفاني «مكنة» وبتقولي آجي،

وفعليًّا تحت الظروف الصحيحة كان ممكن أروح! أنا كلب جدًّا لو حاسس بالوحدة وناقصني حنان! وكانت مجاملة عشوائية، بس في الوقت المناسب، وأنا أحب أقضي وقت أكتر مع حد شايفني «مكنة» بكل صراحة.

في نفس الوقت اتضايقت، اتضايقت طبعًا عشان مشيوا! عربية فيها أربع بنات دي حلم لأي شاب، أوتوماتيكيًّا بتروح في خيال الفانتاسي بتاع إنك قاعد ورا في النُّص وكلهم عايزين يلمسوك ويحسسوا عليك، وأي حاجة بتقولها بتضحكهم، وواحدة فيهم تقول تعالوا نطلع عندي على الفيلا ونقلع وننزل البسين ملط كلنا! أيوه دي الفانتاسي بتاعتي! مش إنت اشتريت الكتاب؟ خد يا سيدي بفلوسك معلومات شخصية عني إنت مش محتاج تعرفها.

برضه اتضايقت عشان حسيت في اللحظة دي بتساؤل: هوَّ ده اللي أنا أستاهله؟ هوَّ أنا آخري يتقالي «يا مكنة» من شباك عربية؟ حسيت إني رخيص شوية!!

انزلي على فكرة واتعرفي عليَّ، أنا لذيذ جدًّا وأتحب، حلو فشخ طبعًا إنك شايفاني «مكنة»، بس حاولي تشوفي أبعد من «المكنة»، فيه حاجات تانية فيَّ حلوة، «مكنة» دي أقل حاجة عندي!

وبعدين قعدت أفكر في اللي بافكر فيه ده، واتضايقت أكتر إن تفكيري بقى مِنسون فشخ وهُرموني النزعة!

إيه المشكلة لما عربية مليانة بنات تطلع واحدة منهم تقولي «يا مكنة»؟ بالعكس، ده مدعاة للفخر، دي حاجة أحكيها لأحفادي وأنا طقم السنان يكاد يخرج من بُقي، والسين بقت شين وكده، أقعدهم قدامي على الأرض وأحكي للمقرب منهم ليَّ، وأقوله جدك ده لما كان بيمشي في الشارع، النسوان كانت بتطلع من شبابيك العربيات وتقوله «يا مكنة»!

وبعدين رجعت اتضايقت رابع إني كجد هتبقى حكاياتي لحفيدي إني «مكنة»، يعني بدل ما أحكيله عن الحروب اللي شاركت فيها، أو الأعمال الفنية اللي كنت جزء منها، أو حتى إنجازاتي في شركة بترول وإزاي ارتقيت بمستوى الإنتاجية فيها، لأ، دا فيه طفل صغير هيبقى قاعد قدامي، وأنا جده العجوز باقوله إني «مكنة»!

موقف عبثي جدًّا! وأكيد هيسيب علامة في الطفل البريء ده!

وبعدين فكرت في ياسمين صبري، كالعادة يعني، أنا بافكر فيها طول الوقت، هيَّ بتيجي ما بين كل فكرة وفكرة فعليًّا، باحبها، باحبها في الأساس عشان شبه واحدة باحبها، وباحبها عشان هيَّ حلوة فعلًا، ولقيت بقى إن هيَّ فعلًا أغلب الناس حاباها عشان شكلها، زي ما أنا باحبها كده. وكمِّلت تفكير، ولقيت إن هيَّ أكيد فيها حاجات تانية حلوة، أكيد يعني، إحنا باصين لشكلها بس ومش قادرين نشوف بعده، زي ما البنات شافوا فيَّ الجزء «المكنة» بس.

وفكرت في جملة، بنات كتيرة في حياتي قالوهالي: «هشام، إنت ما تعرفنيش يا هشام»، وعمري ما كنت بافهمها في وقتها، وكنت فاكرهم بيدعوا العمق مش أكتر، وباقولّها استهدي بالله كده وما تفصلينيش، بس فعليًا همَّ كانوا صح، أنا فعلًا كنت ما أعرفهمش، وكنت مجرد شايف حاجة شكلها حلو وشبطان فيها، بس مش أكتر، وأقعد أكلمهم عن أد إيه باحبهم، وهمَّ يستغربوا: بيحبنا إزاي ده؟

وبعد كده رجعت اتضايقت خامس عشان لقيت نفسي بافكر في إحساس البنت الحلوة في مصر، تيت! أنا مالي أنا؟ أنا مال أهلي أنا؟ مش شغلتي خالص، مش حدوتتي خالص، أروح أركز في برنامجي، ولّا أكتب فيلم، ولّا أشوف أي خرا أتلهي فيه!

هنا أدركت إن خط التفكير ده مش هيودّيني في حتة حلوة، وهافضل أتضايق كده، فقررت أروح أعمل أي حاجة مختلفة. قلت أروح آكل كشري، بس للأسف لقيت محل الكشري المفضَّل بتاعي، «طشَّة جريئة»، قفل.

هنا كانت الصدمة بقى، ووقفت في مكاني، ونزلت على رُكبي باصص للسما، وأدركت في اللحظة دي فعلًا إن كلنا تعبانين، سواء أنا، أو أي حد بيحب الكشري، أو ياسمين صبري، أو الستات العادية حتى... مفيش حد مرتاح!!

الأخطر من كل ده، والأكيد، إن كل واحد فينا جوَّاه حاجات كتيرة حلوة ما بيشوفهاش غير اللي بيقرب، أو اللي بيحس.

تعالوا نفهم بعض شوية، ونريح بعض.

رجاء خاص للرجالة: لو شايف واحدة حلوة، ما تطلعلهاش من شباك العربية وتقولها «يا مكنة»! هيَّ مش شغالة في «أشرف فرغلي»، مفيش حاجة هتتبني على حد طلع من شباك عربية، وإلا كان زماني قاعد في عربية مليانة نسوان دلوقتِ! انزل من العربية خالص، وقولَّها «مساء الخير، حضرتك جميلة جدًّا»، وامشي، دي أشيك كتير، وهتخلِّيها مبسوطة، وإنت مبسوط، ومفيش حد بيحكي لحفيده كلام ما ينفعش يتقال لطفل! كلنا هنكسب.

رجاء خاص للبنات: أنا بامشي في نفس الشارع ده كل يوم على تسعة عشرة كده، وبابقى لابس تيشيرت أبيض.

المهم إني كنت حمار في حاجات كتيرة، كنت حمار لما كنت بافتكر إن البنت الحلوة حياتها سهلة، أو إن شخصيتها وحشة لوحدها كده، والحقيقة إن ده بسبب المجتمع، اللي كلامي ده مش هيغيَّر فيه حاجة! ما هو أنا لو كل يوم فيه عربية بتعدِّي تقولي «يا مكنة»، في الآخر هاصدق إني «مكنة»، وهاخد كل اللي ممكن آخده كـ«مكنة»، وهاتعامل مع المجتمع ده كـ«مكنة»!

15#
مع جومانا، وغيرها

من فترة كده فتحت البلكونة أبص على حاجة وما قفلتش السلك، ولما دخلت تاني اكتشفت إن فيه دبانتين دخلوا البيت. طبعًا مش محتاج أشرح كرهي للدبان، والفصلان لما بيصحيك من النوم برجليه المنمنمة المزعجة فشخ دي، غير طبعًا الفقرة المؤلمة بتاعته: اسكتشاف كل الخروم اللي في وشك اللي بتحسسك بالانتهاك الشديد. فاستحملت يوم يومين وفي التالت بدون أي مقدمات قمت جريت وراهم بالشبشب في كل أركان الشقة، وأنا كلي عزم وتصميم إني هاسحق ديك أبوهم، وشكلي بالنسبة لجيراني اللي ساكنين قدامي وكاشفين بيتي كان غالبًا إني باصمم روتين رقص إيقاعي مبتكر. وبعد مناورات عديدة تفوقت على «النجم الساطع» و«بدر» في مهارتها، نجحت فعليًّا في سحقهما، وشعرت بالفخر والانتصار، ونمت لأول مرَّة

وخرومي كلها متأمنة. بعدها بيومين اكتشفت شيء مزعج جدًّا أثَّر فيَّ بشكل كبير: لقيت دبانة صغيرة لسه كتكوتة هائمة في الشقة، وكأنها بتدور على حاجة، وساعتها استوعبت هيَّ بتدور على إيه، وأدركت الجريمة اللي عملتها، الدبانة دي كانت بنت الاتنين اللي أنا قتلتهم بدم بارد، ويتمتها بدري.

مش عارف أحكي حجم الألم اللي حسيته، نزلت على رُكبي وأنا باصص للسما باطلب الغفران، وحسيت إني مجرم، قاتل. وأبص على الدبانة أكاد أسمعها بتنده: «بابا، ماما، إنتِ هنا؟ بابا إنت واقف على قاعدة التواليت؟ ماما إنتِ مش على التلاجة ليه؟ ماماااااا».

فجأة حسيت بالندم، بالمسؤولية المجتمعية تجاه الدبانة البيبي، حسيت إني مدين ليها بحياة أفضل من اللي تسببت فيها، وقررت إني هاتبناها. وبالفعل، بقيت باتعمد أسيب بقايا الأكل بتاعتي عشان تتغذى، بافتح باب الحمَّام وأسيبها تدخل ترفه عن نفسها شوية، باتغطى وأنا نايم، بس باسيب ودني ومناخيري مكشوفين عشان تستكشف خرومي زي ما هيَّ عايزة.

المشكلة إن بعد يومين كده، اكتشفت إن الدبانة ابتدت تتعلق بيَّ أوي، وبقت بتوصلني للباب وأنا نازل، وتيجي تقف على قورتي أول ما أروَّح، لما بادخل البيت ومش بالاقيها مستنياني باندە عليها، لما باسيب بواقي الأكل بافرح وهيَّ واقفة عليه، وبقت فيه علاقة «awkward» جدًّا ما بيننا، مش قادر أصارح

حد بيها، وفي نفس الوقت متفهمها. أنا الكائن الوحيد اللي في حياتها، واللي وعيت عليه من ساعة ما جت الدنيا. بس المشكلة الأكبر كانت في إن البيت بقى مكان قذر أوي، من خلال رعايتي لجومانا، وآه أنا سميتها «جومانا»، كنت خلاص تجاهلت مستوى نضافة البيت عشان أوفرلها بيئة وسخة تقدر تنبسط وتترعرع فيها.

اللي زود الطين بلَّة إن فيه أصدقاء كلموني قالولي إنهم جايينلي البيت، في اللحظة دي وقفت مع نفسي وقفة كده، وقعدت أراجع حياتي، أنا في موقف لا أحسد عليه هنا، أصدقائي اللي عايز أشوفهم، وعلاقتي بجومانا، وللأسف الاتنين ما ينفعش يجتمعوا، البشر مش هيقدروا يتفهموا علاقتنا. «Let's face it» مفيش إنسان هيدخل معايا في مناقشة عميقة أو تافهة حتى، وأنا فيه دبانة واقفة على وشي، إلا لو كنا في مجاعة في رواندا.

قعدت رايح جاي في حسابات، أنا كمان واحشني إن البيت يبقى نضيف، أنا ما ينفعش أكون في علاقة مع دبانة، ولا هيَّ من توبي ولا أنا من توبها. ولقيت نفسي بدون تفكير، وعيني مش بتتشال من على جومانا، إيدي رايحة على الشبشب ببطء، وجومانا عمَّالة بتضحك وتلف حواليَّ ومش مدية خوانة، واستنيتها لما جت على الترابيزة اللي قدامي، وغمضت عينيَّ و... (صوت شبشب يهوي على الترابيزة).

بعدها بساعتين كنت قاعد مع أصدقائي بنهزر، وهمَّ بيشكروا في البيت ونضافته، أنا فيه دمعة نازلة من عين واحدة زي محمد

رمضان في الأسطورة، باشكرهم على مجاملتهم الرقيقة، ومن جوايا عارف إني خلاص، إنسان محطم، اتغير للأبد، عارف إني فقدت أحد أنبل وأقذر العلاقات اللي في حياتي!

كنت حمار آه، بس كان لازم أبقى حمار مع جومانا وغيرها، كان لازم أتخلص من أي حد بيبوظ حياتي وبيتسبب في قذارتها! بالشبشب!

17#
لما كنت «أونكل كمال خطيب ماما»

أغلبنا دخل في علاقات، وأغلبنا فركش، وأغلب أغلبنا دول حسوا بالألم بتاع الفراق والبُعد والانفصال عن حد كانوا بيحبوه أوي، والآهات الحزينة والأغاني الحزينة وحتى التبول الحزين، اللي هوَّ لما تدخل الحمَّام وتتنهد تنهيدة حارة كده وإنت ساند على الحيطة.

بتبقى في مرحلة حزينة بصفة عامة، ولو شُفت أي حاجة بتفكرك بالشخص التاني حتى لو كيس كاتشب بتتأثر، يمكن عشان كنت باني في دماغك صورة خيالية لمستقبلكو مع بعض، فبتحس بألم رخم كده، شبه ألم خبطة صباع رِجلك في طرف السرير بس اضرب في مليار، وجوه صدرك، اللي هوَّ هادهنه «هيموكلار» إزاي ده؟ إديني ألم خارجي أعرف أتعامل معاه لو سمحت.

لك أن تتخيل بقى ألم الانفصال ده لما ييجي بعد جواز، ومحاولة تحقيق الصورة الخيالية دي، بيكون عامل إزاي برضه، بيبقى أضعاف مضاعفة.

مش معناه إنه حاجة مش كويسة، بالعكس، كل الألم مفيد، بس في وقتها مش بتشوف.

تعالوا كده نفهم حاجة مهمة: ألم الانفصال اللي بيكون على الاتنين، الراجل والست...

الست ممكن في بعض الحالات بتتكسر أكتر، بس مش بالضرورة يعني، وبتتكوِّن عندها حتة مرارة معينة كده، خصوصًا اللي معاها أطفال بتربيهم وشايلة مسؤوليتهم لوحدها، وفي الأغلب، لو دخلت معاها في علاقة، بدون ما تقصد، هتدوقهالك، وتاني، بدون قصد.

هاشرحلكوا...

كنت دايمًا باختار الست المُطلَّقة في علاقاتي، لأ ومعاها أطفال كمان، عايز الباكيدج كلها. يمكن عايز بيت جاهز عشان أهربله؟ الله أعلم. بس كنت باحب أحس إني داخل أكمِّل عيلة وأعوضهم، وأبقى أحمد زكي في نفسي، وأعيش دور «أونكل كمال خطيب ماما»، الدور اللي فهمت لاحقًا سبب اختيار العظيم أحمد زكي ليه.

غير كده، كان دايمًا جزء من اختياري بيحاول يتبع سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم في الزواج من الأرملة والمُطلَّقة،

فعلًا بجد والله كنت باحاول، كنت حاسسها إحدى السنن الكويسة إنك تحسس شخص المجتمع كله بيعامله على إنه فيه حاجة غلط، إنه مفيهوش أي حاجة غلط، عشان فعلًا هوَّ مفيهوش حاجة غلط، هو زي القمر، نصيبه كده مش أكتر.

جزء تاني كان بيحس إن النوع ده من الست كوِّن خبرة معينة عن الراجل والجواز، وهتبقى أحسن شخص للجواز، عشان جرب عيوب الجواز، وجرب ألم الانفصال.

إضافة إلى إني مش شخص عبقري اجتماعيًّا، ومجنون شوية، وغير مهتم بكل فروض الطاعة والولاء الاجتماعية، ما بتفرقش الحاجات دي معايا خالص وباعمل اللي أنا عايزه، وكان عندي مشاكل زي أي حد، لسه ما كنتش حليتها مع نفسي، أعتقد إنك فهمت جزء منها في الكتاب ده، فكنت شايف إنها حسبة متكافئة، مؤمن إن الست المُطلَّقة هتكون أنسب اختيار...

تستحملني، وأقف جنبها.

تشيلني، وأشيلها.

سندي، وسندها.

هيَّ فاهمة بيت، وأنا فاهم دنيا، وتمشي.

بس كل مرَّة كنت «أونكل كمال خطيب ماما»، سواء جواز أو حتى علاقة جادة، عمرها ما حصلت، عشان الحسبة ما بتبقاش كده على أرض الواقع.

أنا إنسان بيحب الحب جدًّا، باحبه فشخ يعني، باستمتع بيه

لأبعد الحدود، وكنت ممكن أتخلَّى عن أي حاجة في مقابل الحب، وكان عندي شوية نقص في الحب في البيت اللي اتربيت فيه، فكنت باحتاج حب أكتر من العادي كمان، كنت باحتاج دفعات خارجية، أمبولات حب في صورة علاقات وصداقات، أو حب غزير وكثيف من الشخص اللي باحبه، ومهما كنت باشوف صعوبات ومآسي في حياتي، كان الحب هوَّ الحاجة الوحيدة اللي ممكن تخرجني منها.

مش حاجة وحشة خالص، بالعكس، ده شيء كيوت جدًّا، دا أنا دبدوب والمصحف.

بس مش أي ست في الدنيا تقدر تتفهم وتلبي ده، وخصوصًا لو مُطلَّقة، وخصوصًا لو بتشتغل وبتصرف على نفسها، وخصوصًا بقى لو معاها أطفال، دي كده طاقتها مشفوطة وعايزة اللي يدلعها، وخصوصًا كمان بقى لو اتأذت نفسيًّا في جوازها السابق، ومحتاجة مساحة أكبر عشان تحاول تشتغل على نفسها، وترجع نسخة أكثر سلامًا داخليًّا من نفسها، وصالحة للعلاقة الحالية. محتاجة تسترد روحها اللي تآكل جزء منها، محتاجة تشتغل على حاجة مهمة أوي اسمها الـ«self-image» (صورتك قدام نفسك)، اللي دايمًا بعد تجربة مؤلمة تسببت في إنك تلوم نفسك، بتكون أصابها بعض التشوه، حتى لو هيَّ أعظم وأحلى شخص في الكون، وبتكون هذه الصورة محتاجة الكثير من الشفاء النفسي والتصالح.

إنت ما بتفهمش ده في ساعتها، بتاخد أي نقص في كم الحب اللي محتاجه ده على إنه شعور بالرفض، على إنه قلة حب. وإنت طبعًا بتحب، وبتحب أوي، ومستني وعايز وجعان حب، وعندك توقعات كبيرة، كلها مش بتحصل. وده أكبر خطر في الجواز، ده جوهر الأذى النفسي اللي بيحصل: إنك تبقى محتاج حاجة ومش بتاخدها، ومش عارف ليه مش بتاخدها، وبالتالي بتبدأ ترمي السبب على نفسك، وكل تقصير بيقصره الشخص اللي قدامك، بيسحب من رصيد ثقتك إنت في نفسك، وحبك لنفسك. ويقوم كل ده راجع للشخص نفسه تاني في صورة عصبية، خلق ضيق، عدم اهتمام، خناقات على أتفه الأسباب. وخلاص بتبقى باظت، والموضوع دخل في دايرة مفرغة مش هتتحل غير برحلة علاج للطرفين، أو ـ وده اللي بيحصل ـ الانفصال.

مش بتشوف ده كله في ساعتها، ولا بتفهمه في وقته، يمكن حاسس بس مش فاهمه، وبتحس بالأذى بس، وممكن تشوف نفسك ضحية، وممكن فعلًا تكون ضحية في حالات كتيرة، بس مش دايمًا يعني.

مش إحساس حلو خالص!

الطلاق في مصر مش شيء سهل خالص لأسباب كتيرة أوي، خصوصًا كم الترتيبات اللي بتسبق الجواز، علشان كل حاجة بتحصل قبل الجواز بتحسسك إن دي خلاص يا معلم جوازة العمر، مش مجرد تجربة، زي ما هيَّ بتبقى كده في الأغلب. مفيش

أي حاجة قبل الطلاق بتأهلك نهائيًا إن فيه احتمال الموضوع ده ما يكملش، كم المجهود والطاقة المبذولين في الجواز وما قبله شيء غير عقلاني بالمرَّة.

ترقب الآخرين لكل لحظة كبيرة في موضوع الجواز، ما بين قراية فاتحة ولَّا خطوبة ولَّا دخلة، ولَّا حتى زفة بلدي من اللي العريس بيخرج فيها حاملًا المنديل وفخور أوي بمسرح الجريمة اللي في إيده، أو حتى حمل واحتمالية مجيء طفل باسمكو للدنيا، يدل على شيء واحد بس، فيه ناس كتير أوي جزء من حاجة المفروض تكون ما بين اتنين.

فيه «stakeholders» كتير أوي لحاجة «personal» أوي، وبيتحولوا لعبء نفسي، زائد العبء الطبيعي بتاع الموضوع اللي هوَّ أوفر أصلًا، والعبء النفسي في موضوع الطلاق بالنسبة ليَّ بينقسم لكذا جزء...

جزء ظاهري قدام الناس، ناتج جزئيًا عن شعور بالفشل أمام الآخرين، اللي هوَّ أيوه أنا كنت جزء من كيان ورجعت تاني لوحدي، الشخص اللي رقص قدامكو كلكو عشان هيروح معايا البيت وينام في حضني كل يوم ده ما بقيتش عايزه تاني خلاص، أو ما بقاش عايز يبقى معايا تاني خلاص، وهاتوا فلوس البوفيه اللي لهفتوه في بطنكو يا ولاد التيت يا مفاجيع!

جزء تاني داخلي، وهو الأهم واللي بيفرق فعلًا، جزء الشراكة نفسه وكل الأفعال المشتركة اللي تمت بسعادة بالغة: العفش

اللي نقيناه مع بعض وإحنا بنضحك وماسكين إيدين بعض ده، والنور اللي قعدنا نتناقش في أنهي فيهم هيركب فين، والسعادة البالغة اللي على وشي وأنا سوري في الكلمة يعني باركبه، والأدوات المنزلية والإلكترونية، والراجل اللذيذ اللي باعلنا الكنبة، والست اللي كانت عينيها مني اللي باعتلنا التلفزيون، والأندرويد واللينجيري والحاجات الحلوة دي، وألوان الملايات، وشكل المعالق، وأماكن المسامير، وترتيب قنوات التلفزيون، وكل التفاصيل اللي تم اختيارها اختيار مشترك دي كلها، واللي كانت بتتحول تلقائيًا في وقتها إلى ذكريات، واللي مش سهل على أي بني آدم في الدنيا إنه يقدر يكرر عملية اختيارها مرَّة تانية، خصوصًا قنوات التلفزيون والفيفوريتس، ده فرهدة لوحده الحوار ده، ومش هاغير قنوات تاني ورحمة أبويا، اللي عايز يتنيل يظبط قنوات، الريموت عنده!

في حقيقة الأمر، الحاجات دي فعلًا لازم تتعمل مرَّة واحدة، مع حد تكون عارف ومتأكد إنكو هتكونوا مع بعض لفترة طويلة. وده مش سهل!

الأهل اللي بيفرحوا أوي دول، غصب عنك فيه صوت واطي وسخيف بيقعد يزن في دماغك ويقولك هتجيبهم تفرَّحهم أوي تاني كده إزاي؟ أكيد مش هتبقى زي أول مرَّة.

في حقيقة الأمر برضه، هتعرف عادي جدًّا.

خُد كلام واحد عاش تجربة الطلاق كاملة، ومر عليها سنين،

وأقدر أقولك بكل ثقة إنه كان أحسن حاجة حصلت في حياتي، وأقسم برب العزة.

إزاي؟

لما كبرت وعقلت وبلغت عاطفيًّا، فهمت اللي حصل.

أنا ما كنتش مؤهلِ إني آخد قرار الجواز ده، ولو كنت مؤهل اختياري ما كانش صح (مش بسبب أي حاجة فيها)، عشان بكل بساطة ما كنتش فاهم نفسي، ولا فاهم الجواز نفسه.

ما كنتش فاهم أنا مين، ولا احتياجاتي إيه، ولا تجربتي في الحياة عاملة إزاي وأثرت عليَّ إزاي، ولا طفولتي وبيتي أثروا عليَّ إزاي وخلُّوني محتاج إيه وطباعي إيه، ولا كنت فاهم يعني إيه حتى ست وبيت.

كنت صغير، بس أحيَّر.

كنت باحب، بجد، أوي.

متصالح مع كل ده دلوقتِ، وحابب نفسي، وباضحك على نفسي والحمقة اللي كنت باتحمقها أوي وحرقة الأعصاب والخناق والهبل ده كله... فهمت.

فهمت إنك عشان تتجوز شخص لازم تكون عشت معاه الأول، وانبسطت بالعيشة معاه، وحبيت كل تفصيلة فيه، وكل فعل بيعمله، حتى لو غلط.

فهمت إن أي غلطة في الجواز هيَّ مسؤولية مشتركة، ويتحمل الجزء الأكبر دائمًا الشخص الأكثر وعيًا وإدراكًا، مش الغلطان.

فهمت إننا في مصر كلنا بنتجوز صغيرين سنًّا وفكرًا، وبنشيل مسؤوليات كبيرة إحنا مش أدها، ولا المفروض نكون أدها. إذا كان الأجانب نفسهم اللي ممكن حياتهم أسهل في جوانب كتيرة، مش أدها، وبيتجوزوا بعد سنين من العيشة مع بعض والوصول لتفاهم حياتي كبير، هنيجي إحنا نفتح صدرنا؟ إحنا لسه بنبني نفسنا كبني آدمين وكبلد!

وإنت بتتجوز كل الناس حواليك بتتعامل على أساس وهمي إنك إنت والشخصية اللي بتتجوزها خلاص هتبقوا مع بعض للأبد، وصدَّقني، ده في مصر على الأخص، بيضيف لألم الطلاق، عشان إنت كمان بتصدق إنه للأبد، مع إن احتمال الخطأ في الاختيار في العلاقات والجواز هوَّ الاحتمال الأقرب للصواب في أغلب الوقت، وكل مظاهر الاحتفاء المجتمعي بالاختيار والروح الجمعية للموضوع ده بتنفي عنه ـ نفسيًّا ـ للطرفين الأساسيين ـ بجهالة شديدة ـ شبهة الخطأ، وبيترسخ نفسيًّا جواك إنه اختيار صحيح كواقع.

لو إنت شاب مصري فإنت أوتوماتيكيًّا تحت ضغوط كتيرة، بتبتدي من «مش هنفرح بيك/ بيكِ بقى؟»، أو حتى لو ممزوجة مع شوية ابتزاز عاطفي جميل كده وبقت «نفسي أفرح بيك/ بيكِ قبل ما أموت!»، أو «نفسي أشيل عيالك قبل ما أموت!».

لا، لو كده موتوا بصراحة، أحسن ما ندخل تجربة فاشلة تأثر علينا نفسيًّا وجسديًّا وماديًّا حتى! الجواز ده مش حاجة بتعملها

عشان حد، دا أكبر حاجة ممكن تعملها لنفسك، ده عمرك إنت وسعادتك إنت!

الأطفال دول مش لعبة! لو زهقان نزل «كاندي كراش»، بس اطلع بره حياتي واختياراتي!

ده يمكن السبب اللي مخلِّيها في مصر منظومة أبعد ما تكون عن النجاح الحقيقي، لأن الضرر الأساسي فيه: الحالة النفسية للبني آدمين اللي بيتجوزوا وبينفصلوا، والأطفال إن وجدوا، دول بس مفيش حد تاني بيقع عليه أي ضرر مهما حاول يدعي ده.

أي فرح بينتهي بإن المعازيم أو الجماهير بيودعوا العريس والعروسة، كله مبتسم ابتسامة مصطنعة، وبيعمل باي باي في صمت. كلهم عارفين إنهم سلموا الاتنين دول لمشكلة ملهاش حل، عارفين، ومن جوَّاهم بيتمنوا في سرهم إن يمكن دول همَّ اللي يعرفوا يحلوها، همَّ اللي يعرفوا يعملوها ويتجوزوا ويحبوا بعض، ويكملوا!

فكرة إنك تعيش في مجتمع بيدفعك بالقوة لعلاقة رسمية، ده في حد ذاته أكبر سبب لزيادة معدلات الطلاق في مصر! عشان محدش بيدفعك إنك تلاقي الحب، كله بيسوَّق، ويعمل ماركتينج رهيب لمبدأ الجواز دون أي تسويق أو توعية عن المحتوى!

تخيَّل نفسك قاعد في المقصورة الرئيسية، وعمَّال تقول لراس الحربة في الماتش: «هات جون! هات جون!».

مش هيجيب جون، بالعكس، بالضغط ده ممكن يجيب جون في نفسه، أو يتطرد، أو حتى يقلع ملط ويتشعبط في العارضة، وده يمكن أكتر خيار مفضل بالنسبة ليَّ.

في حين إنك لو قلتله «انزل الملعب انبسط، وإدي كل اللي عندك، وعيش اللحظة، وإحنا معاك بغض النظر عن النتيجة»، ممكن يبقى هداف القرن، ممكن يبقى محمد صلاح!

هوَّ مجرد اختيار.

ليه نحمِّله كل ده؟ ليه نضغط عليه إنه ينجح بالعافية؟ ليه دايمًا بنضغط على الخطوة الأولى إنها تكون الأخيرة والصحيحة؟

قعدت أفكر كتير أوي، وعملت بنصيحة منير، ودورت على الناس في قلوب الناس، واكتشفت إن السبب الأساسي للفقرة دي كلها، هو الرغبة المستميتة في الفرحة، الـ«desperation».

الاحتياج الشديد للسعادة، حتى لو كانت عن طريق الآخرين، الأهالي والبهوات المعازيم دول كلهم مش سعداء في جوازهم، فجايين يفكروا نفسهم بفرحة الموضوع الظاهرية مش أكتر.

أنا يمكن كنت فاكر إني حمار لما كنت عايز أبقى «أونكل كمال خطيب ماما»!

بس في الحقيقة الستات دول كانوا أعظم حاجة في حياتي، وأحسن حاجة ممكن تحصلي، وحقيقي حبيتهم واتشرفت بمعرفتهم! لأنهم أضافولي، كل واحدة بطريقتها، وكانوا جزء من رحلة خرجت منها فاهم نفسي!

حابب أوجهلهم كلهم كل الشكر والتقدير، لأن لولاهم ما كنتش هاقدر ألاقي السعادة الحقيقية والحب الحقيقي!

عشان لما تيجي تجمع الناس كلها حواليك، وتقولهم هوَّ ده الشخص اللي اخترت أقضي معاه بقية عمري، تبقى عارف إنت بتقول إيه، مش داخل تجرب، وده ما يمنعش إن التجارب بتفيد.

فكَّر نفسك دايمًا إن ملعون أبو الناس اللي يدفعوك لقرار غلط، حتى لو أقرب الناس ليك، ولو حصل ما تندمش على هذا القرار، عشان غالبًا ربنا عايز يعلمك حاجة مفيدة هتنفعك في بقية حياتك.

باحمد ربنا ألف مرَّة على نعمة كبيرة أوي، وهيَّ إن معندناش أطفال مع بعض، عشان البني آدمين مش لعبة، وما ينفعش يكونوا عبء. ويوم لما هاجيب طفل بإذن الله، هابقى أنا سعيد وعايش حياة سعيدة مع أمه، عشان ييجي يعيش في سعادة هوَّ كمان، مش هاجيبه أشيله هموم، وأعيشه حياة ينقصها أشكال كتيرة من السعادة والحب! ليه أعمل كده في بني آدم؟ ليه الأنانية؟

أنا مش أناني (بصوت عمرو دياب).

أنا «أونكل كمال خطيب ماما».

19#
لما افتكرت إن أبويا ما بيحبنيش

بعد ما خلصت ثانوية عامة علمي رياضة في سنة ٢٠٠٠، بمجموع تانية وتالتة على بعض ٩٠٪، ما كانش عندي اختيارات كتيرة أوي، كل الهندسات بعدوا عني، أكتر من واحدة شافت الإكس بتاعها وهيَّ معاها خطيبها.

أمي ما كانش ليها رأي أوي، أمي كانت من مدرسة «خش أي حاجة وأهو كله محصَّل بعضه». وإلى حد ما كنت فاكرها طلعت هيَّ اللي صح في الآخر من وجهة نظر الشهادة، بس من وجهة نظر التجارب الحياتية ونوعية الناس اللي بتختلط بيهم وتفكيرهم ونوع العلم اللي بتتعلمه، لأ طبعًا، الجامعة كل حاجة، الجامعة هي تشكيل الشخصية الحقيقي، والعلم بيفتَّح دماغك بشكل مش بتستوعبه، وبيحدِّد نوع عقليتك في أغلب الوقت.

أبويا بقى الله يرحمه كان مصمِّم إني أدخل شرطة، تصميم

ما شفتهوش قبل كده من ساعة ما دخَّل أخويا شرطة، وفعليًّا كنت مستكين في الأول، ورُحت قدمت فعلًا، وكان بييجي معايا الكشوفات كلها، كان على المعاش ساعتها وعايش لوحده.

كل كشف كنت باروحه، كنت باكره نفسي، وباتأكد إني ما ينفعش إني أبقى ظابط، مش علشان مش عايز، بالعكس، أنا كان نفسي أبقى ظابط، كان نفسي أبقى ظابط أكتر من الظباط نفسهم، أكتر من أحمد السقا وأحمد عز وأي حد اسمه أحمد بصفة عامة. بس كنت حاسس إنهم عندهم حاجة مش عندي، وحاسس برضه إني عندي حاجة مش عندهم.

وصلنا لمرحلة الكشف الطبي، وأبويا كان بيركن بره في الحر.

في الكشف الطبي كنا كلنا قالعين وواقفين باللبِسة، ضهرنا للحيطة، وعاملين مربع بشري بمساحة أوضة الكشف بالكامل، ومكتب الهيئة بتاعة الكشف كان في منتصف المربع بالظبط، والشباب كلهم واقفين مستنيين أحد الظباط يعدِّي علينا بمازورة، المتر بتاع الترزية ده، اللي فيه كذا لون مختلف في بعض ده، مدِّي على رينبو كده، ومعاه عسكري جنبه ماشي شايلُّه الملفات، وبيقيد مقاسات الصدر بالسنتي على كل ملف.

الشباب كلهم كانوا متحمِّسين، اللي واقف مبتسم، واللي واقف انتباه فاكر إنهم هيعجبهم التزامه وعقليته العسكرية، واللي بياخد نفس عميق قبل ما يتقاس، واللي بيلعب ضغط عشان يلحق يكبر صدره عشان المقاس. الموضوع ما كانش له علاقة

بالتقديم على أد ما كنا شايفين إنه نوعًا ما اختبار رجولة وتحدي و«Fear of rejection»، والحقيقة لو مقاس صدري ما جابش الحد الأدنى كنت عارف إني هاحس إني فيَّ حاجة مش سليمة. أذكر في اللحظة دي إني كان نفسي صدري يكبر أكتر من بنت مراهقة في إعدادي عايزة تظبط مع الواد بتاع ثانوي اللي بيعرف يلعب كرة وبيهزر مع المدرسين ده.

لما الظابط قرب مني، ولف المازورة على صدري وظهري، في وضع شبه محتضن كان مخلِّيني مش مرتاح أوي، صدري للأسف كانِ أقل من الرقم المطلوب، كان ٧٩ سنتي.

خرجت محطَّم، حتى وأنا مش عايز أدخل شرطة أكتر من الأول، يمكن عشان حسيت إني فشلت في حاجة، حتى وأنا مش عايزها. ولما خرجت لأبويا وهو واقف ساند على باب العربية المفتوح مبتسمًا، وقلتله، وشه اتقلب، الله يرحمه! زعل، مش علشان مقاس صدري صغير، لأ، ولا عشان إني ممكن ما أدخلش شرطة برضه حتى، زعل بسبب أكتر حاجة كان بيحبها فيَّ، وهيَّ إني كنت واخد جسمه الصعيدي النحيل الممصوص بلهاريسي النزعة ده، كان بيحب ده أوي فيَّ، يمكن كان بيحبني أكتر من أخويا عشان كان حاسس إني شبهه أكتر جسديًّا، أخويا كان واخد جينات عيلة أمي، الجينات الممتلئة شوية اللي بتحوِّش الدهون للزمن دي، وبيعاني منها لحد دلوقتِ، بس عامل شغل كويس في الحرب عليها.

ساعتها أبويا حس إنه نقلي جين لعين، ودي كانت أول مرَّة أحس أبويا زعلان من حاجة أنا طرف فيها، بس مش بسببي.

وإحنا مروَّحين كان سايق وهوَّ سرحان، وبيكلمني عن الإعادة، وبيقولي إنه هيحاول يكلملي حد، وإني لازم أبتدي أهتم بصحتي شوية، ما كانش يعرف إني في الوقت ده كان بقالي خمس سنين باشرب سجاير بانتظام، من تانية إعدادي تحديدًا، وده كان السبب الأساسي في حجم صدري المحدود وقتها. الله يحرقك يا هاني يا عادل! مش قصدي الفنان، قصدي صاحبي التيت اللي كان معايا في المدرسة، التيت ده شرَّبني سجاير وبطَّل هو، لأ وسافر عاش في ألمانيا كمان التيت، اللي هوَّ تيت يعني.

بس ما كنتش شايف الكلام ده كله ساعتها، كان بيتسجل في شريط عقلي، ما اتفرجتش عليه غير بعد وفاة أبويا، ما كنتش مجمَّعه، كنت سرحان في صدري الصغير ووشي شبه البنت بتاعة «ورقة شفرة» اللي سرحانة وهيَّ بتقول إمتى صدري يكبر.

وفعلًا لما روَّحت ابتديت ألعب ضغط بقسوة شديدة، وجبت «ميجا ماس»، مكمل غذائي بروتيني كان شهير أوي في الوقت ده، كان بييجي في جردل إسود غطاه أحمر، وأمي طبعًا كانت بتساورها كل الشكوك الممكنة، ومش فاهمة إيه البودرة اللي باسفها من جردل دي، ومش متطمنة للموضوع، بس في نفس الوقت عارفة إني جايبه من صيدلية فمش قادرة تقول حاجة،

المهم إنه فعلًا ساعد، ومع الأكل صدري فعلًا كبر، مش أوي يعني، بس بدل ما كنت حلمة في وسط ضلعين، بقيت «A cup».

ورُحت مع أبويا تاني، وكلي ثقة في صدري وحلماتي، وفي نفس الوقت ما زلت مش عايز أبقى ظابط، بس عايز أنتصر في معركة الصدور، وهوَّ، مش هانسى وشه، كان قاعد جنبي في العربية بيدعي في سره، شايف دلوقتِ في الشريط شفايفه وهيَّ بتتحرك بهدوء، وصوت بسبسة خافت طالع من بُقه.

دخلت وقلعت واترصيت في مكاني في المربع البشري، ولسبب ما كان فيه يوميها ريحة رِجلين بنت تيت، ريحة تدمعلها الأعين، حتى الظابط والعسكري بتوع المقاس كانوا «In tears».

دخل عليَّ بالمازورة، وإداني الحضن إياه، وكتب الرقم: ٨٤.

فرحت طبعًا فرحة ما بعدها فرحة، طيارة أبو تريكة على أغنية لؤي «بلدنا» في الخلفية، كان ناقص نانسي عجرم تخش تحضنِّي، ومذيع من مراسلين التلفزيون المصري يعمل معايا حوار وهوَّ متوتر وبيحاول يركز في أسئلته.

خرجت باحاول أخبي فرحتي من أبويا، وهوَّ وشه كان كله لهفة مش هانساها، عينيه مش قادرة تستنى خطوتي البطيئة وأنا باقرَّب عليه، كان متلهف لدرجة إني قربت منه وأنا ساكت ومش مدِّي أي ريأكشان، راح مزعقلي وقالي:

ـ هاا!؟ ما تنطق!

قلتله، وفرح فرحة نورت وشه، وقعد يقول «الحمد لله»

بصوت عالي ويبوس فيَّ، وأنا عمَّال أتلفت وأبص حواليَّ وأنا مُحرج ومش عارف أعمل إيه، فقلت ألحق ألبه قبل ما يدبسني، وأموِّت فرحته في عقرها، وقلتله:

ـ مش عايز أدخل شرطة!

طبعًا ولا كأني قلت أي حاجة، تجاهلني كأني جاي أبيعله فوط صفرا، معتمدًا إنه هيقنعني بعدين، المهم إني عديت.

كان فخور بيَّ أوي، ونوعًا ما حاسس إني هابقى ظابط شاطر، بس إحساسه ما طلعش صح!

بعد حوارات كتيرة أوي، ومحاولات إقناع أكتر، سابني في الآخر أدخل أكاديمية السادات، اللي قعدت فيها أسبوع بالظبط ونقلت للأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، هندسة وتكنولوجيا، علوم حاسب.

* * *

لما خلصت جامعة أصابني الدور في دخول الجيش، وما كنتش مصدق إني هادخل جيش لحد آخر لحظة، وفاكره هيتصرف ويطلعني، بس إحساسي ما طلعش صح، ودخلت جيش عادي جدًّا.

أول يوم دخلت الجيش كان من أصعب أيام حياتي، وكنت باحاول أوصل لأبويا بشتى الطرق، وكان وقتها فيه شخص مهرب موبايل داخل الوحدة، جوه ملابسه الداخلية، بجوار أعضائه التناسلية بالتحديد. أذكر جيدًا إني جريت عليه أول ما قفلنا

باب العنبر، وطلبت منه التلفون، وراح مادد إيده جوه الكلوت، ومطلعهولي، لحظات ومشاهد تاريخية لا تُنسى!

كلمت أبويا وكلي غضب وحزن، وعمَّال أشتكي وأزعق، وأقوله اتصرف وطلعني من هنا، وهوَّ يقفش عليَّ ويشتمني، ويقولي: «استرجل، مش هاعملك حاجة»، وأنا أنهار!

استرجلت، وكمِّلت جيشي، وكان فعلًا تجربة مميزة غيرت شخصيتي للأحسن، بغض النظر عن أي تفاصيل كوميدية.

بعد وفاة أبويا الحبيب الله يرحمه، جرت العادة إنه لا بد من تسليم متعلقاته العسكرية في القيادة على يد ذويه، وأنا اللي رُحت بمتعلقاته عشان أسلمها، ودخلت الحقيقة مستغرب من المعاملة، دخلت الناس بتسلم عليَّ كأني بطل، أو ابن البطل بالتحديد. كله كان يسمع إني ابن اللواء صدقة، يسلم عليَّ سلام حار، ويعزيني، ويعرض خدماته، أو حتى حاجة أشربها، وأنا باحاول أشكرهم وأتفادى كل ده عشان أوصل للمكتب اللي هاسلم فيه الحاجة وأمشي.

وصلت فعلًا بعد طابور طويل من المعزيين، وكان فيه مقدم جوه، المسؤول عن الاستلام، وكان أحد تلامذة أبويا، سلم عليَّ وباسني وحضنِّي حضن حار، وقعدني قدامه، وقعد يشكر في أبويا، ويملا الورق اللي قدامه، ويشكر في أبويا، ويملا في الورق، وعينيه تدمع، وفجأة راح قايل:

ـ يااااه! الله يرحمه! إنت عارف إني ما شفتش سيادة اللوا الله يرحمه من ساعة الخناقة اللي جه عملها هنا؟

استغربت، وما فهمتش ساعتها أبويا ممكن يتخانق ليه في القيادة بتاعته وهوَّ المعروف والشهير بانضباطه واحترام قياداته!

وسألته بكل كليشيهية:

ـ خناقة؟! خناقة إيه؟!

بصلي باستغراب كأني المفروض أبقى عارف، وقالي:

ـ يوم لما إنت دخلت جيش، جه هنا وعمل خناقة كبيرة، ودخل لقائد السلاح وقعد يزعقله، وإزاي ابني يدخل الجيش، وإزاي إنه هوَّ خدم البلد كفاية واتغرب كفاية، ونزلوه أجازات، وزعيق كتير.

تنَّحت! اتثبت! اتخضيت! صُعقت! حُط كل المرادفات اللي عندك هنا كمان، هات المرادفات اللي عندك يا حسن.

ما جمعتش تركيبة الأب، أي أب، غير في اللحظة دي!!

الضرب خلَّاني فعلًا ما أصدقش إن أبويا بيحبني، وما فهمتش الموضوع ده غير بعد ما مات، يعني عشت حياتي كلها مع أبويا غير قادر إني أوصَّله إني باحبه، عشان مش مصدق إنه بيحبني، ودلوقتِ باعيش حياتي كلها عارف إنه كان بيموت فيَّ، وعمري ما هاقدر أوصله ده، والفرصة راحت للأبد!

عشان كنت حمار!

لما كنت بانزل أجازة من مركز التدريب، كان بيبقى واقف على الباب مبتسم، وماسك ضهره المصاب بالغضروف!

منظر أبويا اللي ضهره واجعه، وواقف مبتسم ابتسامة عريضة

مستنيني على بوابة مركز التدريب، حاجة من الحاجات اللي هافضل أفتكرها بقية عمري!

من كُتر ما ضهره كان واجعه والغضروف شادد عليه من السواقة لحد مركز التدريب، خلّاني أسوق العربية وإحنا راجعين، وده تقريبًا كان من رابع المستحيلات بالنسبة له إن حد يسوق عربيته، وما فهمتهاش ساعتها، بس كان مبسوط ومبتسم، وسعيد سعادة غير طبيعية!

معلش، سامحني! فهمت متأخر!

عشان كنت أكبر حمار في الدنيا!

مهما كان أبوك قاسي، مهما كان، هوَّ ليه تركيبة، وليه ظروفه، وليه حاجات مر بيها مش هتقدر تفهمها في سنك أو في وقتك، هتفهم بعدين، ولو لسه عايش، رُوح بوس إيده واحضنه حضن طويل، دي نعمة كُتب عليها الزوال، ومش هتحس بيها غير وإنت واقف قدام قبره بتتمنى يخرجلك ولو دقيقة واحدة بس، تقوله إنك بتحبه!

21#
لما ما كُنتش باسامح

تقريبًا كل الأنبياء كانت حياتهم فيها معاناة عظيمة، سواء اللي إخوته رموه، أو اللي أهله حرقوه، أو اللي أصحابه وقومه خانوه، أو حتى اللي حوت بلعه.

مسيراتهم دائمًا كانت محفوفة بالمشقة، وباحب أعتقد إن ربنا وضع المثل ده في أطهر البشر وأعلاهم مكانة، كنوع من التهوين على باقي البشر معاناتهم، وكأنه سبحانه وتعالى بيقول، دول اللي باحبهم والصالحين واللي أنا مختارهم، وعادي إنهم يعانوا في الدنيا، فما تحزنش أوي على نفسك، أنا مش مستقصدك إنت شخصيًا.

فيه حاجتين كنت دايمًا باستغربهم وأنا صغير...

أول حاجة هيَّ قدرة الأنبياء على حب الناس اللي كانوا بيأذوهم، سواء قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ غير

المؤكدة ـ لما كان فيه شخص يهودي بيرمي القمامة قدام بيته، ولما الشخص ده بطَّل يرميها، النبي صلى الله عليه وسلم راح يزوره في بيته ويطمَّن عليه. أو تسامح سيدنا عيسى لما بيقول من ضربك على خدك الأيمن أدر له الأيسر. أو حتى إزاي سيدنا يوسف ما أخدش إخوته اللي رموه في غيابة الجب ورماهم في السجن بعد ما بقى العزيز. عمري ما كنت بافهم ليه موقف الأنبياء كان موقف ـ بالنسبة لفكري في وقتها ـ ضعيف.

الحاجة التانية اللي عمري برضه ما كنت بافهمها لحد مؤخرًا، هيَّ الفظائع اللي بتحصل في البلاد الأفريقية، إزاي شخص ممكن يطلع على عربية نص نقل ويقعد يضرب نار من بندقية آلية يروع بيها الناس، أو يغتصب أم قدام طفلها، وفي بعض الأحيان حتى يقتلها، الحاجات اللي كنا بنشوفها في الأخبار، وفي بعض الأفلام، والقصص الشنيعة اللي باسمعها من ناس كانوا في دارفور، إزاي شخص ممكن يوصل لهذا المستوى من القسوة وجمود القلب والإجرام!

الموضوع كان محيِّر جدًّا بالنسبة ليَّ، إلى أبعد الحدود، لحد ما وقعت على فيديو بيتكلم فيه مطران شهير من مطارنة وقساوسة جنوب أفريقيا اسمه «ديزموند توتو» (بس راجل أوي)، أحد أهم رجال الدين في جنوب أفريقيا، اللي درس الأديان كلها، وصديق شخصي لـ«نيلسون مانديلا»، وكان بيتكلم عن الأبارتهايد وفظائع الجرائم اللي حصلت في هذا الوقت، وكان بيحكي إنه في مرَّة زار

دارفور، وقابل ست كانت في حفلة انتهت بمأساة لما الجماعات المتمردة رموا عليهم قنابل يدوية، ونتج عن ده إن الست نفسها تشوهت وفقدت جزء من أطرافها، وبقت غير قادرة على إنها تعمل أي حاجة لنفسها، وولادها كانوا بيعتنوا بيها. وبيحكي إنه لما قابل الست دي، سألها عن اللي حصلَّها، وقالتله إنها «تجربة أغنت حياتها»، خلَّت حياتها غنية يعني، وطلبت إنها تقابل الشخص المعتدي اللي تسبب في تشوهها عشان تسامحه.

الراجل استغرب طبعًا، وسألها:

ـ إزاي عايزة تسامحيه؟

قالتله كده بالحرف (الإنجليزي يعني):

ـ يجب أن أسامحه لكي أكون أنا، وحتى لا أكون ما فعله بي!

جملة عظيمة بكل ما تحمله من معاني، وهيَّ كتير الحقيقة، بمعنى إن لما حد يعمل فيك حاجة وحشة، وتسامحه، بيخلصك من عبئها النفسي عليك، مش بيخلصه هوَّ، بيحررك من طاقة هذا الأذى، عشان لو شِلتها معاك هتاكلك، هتعميك، هتضيَّع أي حاجة حلوة تانية، لأنك مش هتكون شايف غير الأذى اللي مريت بيه.

وبيكمل بقى «ديزموند»، وبيشرح أهمية اللي الست دي عملته، وبيقول:

If you carry out a policy that dehumanizes others, in the process you are dehumanized.

لما هتصدق أو تقنع نفسك إن اللي قدامك حيوان، أو يستاهل،

أو شخص سيِّئ وفاقد الإنسانية بصفة عامة، هتقدر تعمل فيه أي حاجة في الدنيا، ولو قدرت تعمل فيه أي حاجة في الدنيا فإنت هنا اللي بقيت حيوان، وإنت اللي تحوَّلت لشخص سيِّئ وفاقد للإنسانية.

لو أقنعت نفسك إن فيه شخص ابن تيت، ويستاهل اللي يجراله، فإنت بالتالي تحولت لشخص ابن تيت يستاهل اللي يجراله.

لو كل واحد أذى شخص تاني أذاه، فهي دايرة مفرغة من الأذى ما بتقفش، وهنبقى أصبحنا كلنا قادرين على أذى الآخرين، ومش بس كده، لأ، هيكون عندنا مبرر قوي جدًّا للي بنعمله في الآخرين.

طبعًا ده مستوى كان جديد عليَّ في الإنسانية، بس لما ربطته بالحاجتين اللي كنت دايمًا باستغربهم، فهمت.

فهمت إزاي النبي ده عشان يفضل نبي، وشخصيته ما تتغيرش للأسوأ، لازم يسامح، ويصبر على أذاه، ويقابل هذا الأذى باللي هوَّ عايزه يفضل موجود في الدنيا: الخير، والتسامح، والأخلاق.

لما هذا المطران الأسمر الجميل، اللي على الرغم من سنه الكبير ووشه اللي كله طفولة، قعد يشرح مدى ترابط الإنسانية، فهمت برضه.

فهمت إن أي حاجة بتعملها في الدنيا ليها تأثير عليك وعلى اللي حواليك، وإنت في إيدك، لو التأثير ده سلبي، إنك توقفه

عندك، لازم تكون إنت خط النهاية لكل حاجة وحشة، عشان لو ما وقفتهاش هتكمل في الدنيا بدون توقف، هتبقى مجرد حلقة في السلسلة، بدل ما تكون حائط صد للشر، ونهايته تكون تحت أقدامك.

«الدالاي لاما» كان بيتكلم عن هجوم الجيش الصيني على التبت، اللي كان في وقتها طايح في كل حتة، كان بيقول إنه ابتدى يحس إنه في خطر لما فقد تعاطفه مع الجيش الصيني. الراجل خاف على نفسه وإنسانيته لما لقى نفسه ابتدى ما يتعاطفش مع عدوه، اللي بيقتل فيه. حس بقدرة على الأذى بتتكون عنده، وحس بخطورتها عليه هو شخصيًا.

الأذى مش بس جسدي وقتل وجريمة، خالص.

فيه عالم ياباني اسمه «ماسارو إيموتو»، عمل تجربة لطيفة أوي، كان بيحاول يثبت بيها إن الكلام العادي، كلامنا الطبيعي بيننا وبين بعض، ليه طاقة، ومؤثرة، وممكن تكون سلبية أو إيجابية.

«ماسارو» ده جاب تلات كوبايات فاضيين، وحط في كل واحدة رُز وميه، بس كده. وعلى مدى شهر، كان فيه كوباية بيتعامل معاها بإيجابية وابتسام ويقولها: «شكرًا»، وكوباية بيشتمها ويقولها: «يا غبية»، وكوباية تالتة تجاهلها تمامًا. طبعًا لو واحد مش فاهم إن «ماسارو» ده بيعمل تجربة، ودخل عليه لقاه بيشتم كوباية ويقولها «يا غبية»، وكوباية تانية بيحبها وبيشكرها،

كانت هتبقى لقطة غريبة فشخ! وغالبًا كان هيسلمه لأي مصحة! بس الحمد لله، ربنا وفقه يعني، عشان في أي تجربة فيه علم مكتسب.

المهم، بعد الشهر ده، الكوباية اللي كان بيشكرها وبيحبها بدأت تتخمر برائحة جميلة!

والكوباية اللي كان متجاهلها تمامًا عفِّنت، بقى لونها لون العفن الأخضر ده!

والكوباية اللي كان بيشتمها، بقى لونها إسود!

هتعمل إيه لو قلتلك إن كلامك القاسي لشخص ما، هيخلِّي الشخص ده يعفن من جواه أو يسود؟ في ثانية هييجي في دماغك اسم شخص تجاهلته وشُفت تدهوره بعد كده، وشخص إنت عارف إنك كنت قاسي عليه وشُفته بيبقى شخص وحش.

على أد ما جملة «التسامح قوة» كليشيه، بس هيَّ دي الحقيقة، والحقيقة إننا كمان بقينا بنخلِّي كل حاجة كانت سبب في إنسانية أفضل، تختفي لما بنقول عليها «كليشيه». يمكن إحنا محتاجين قليلًا من الكليشيه عشان نعرف نعيش.

حابب أضيف حاجة هنا، أكتر حاجة ممكن تاخد فيها وقت في حياتك هيَّ إنك تصدق إن أقرب الناس إليك هوَّ السبب في أذاك، هوَّ مصدر الألم اللي إنت مش عارف هوَّ جاي منين طول الوقت ده.

شيء صعب التصديق فعلًا، شيء مش سهل الاستيعاب، وممكن ياخد منك سنين، مش أيام!

يمكن أكبر مشكلة عند البشر هيَّ رغبتهم الانتقامية في رد الأذى، حتى لو كان غير مقصود!

أكيد أنا آذيت ناس، ده شيء مفروغ منه، وأبقى إنسان واهم لو آمنت بأي حاجة غير كده، بس اللي متأكد منه فعلًا هوَّ إني عمري ما رغبت في أذى حد متعمدًا، وحتى لو فكرت في أذى حد، فكرت بس، بارجع ألوم نفسي بعدها بوقت قصير جدًّا، ويمكن حتى لو شُفت هذا الشخص لاحقًا، بانسى، بابقى عايز أسلم عليه وأحضنه، وأنسى الزعل اللي بيننا.

في أوقات كتيرة دفعت ثمن بسبب أذى أذيته لناس من غير ما أقصد، بس همَّ كانوا انتقاميين كفاية إنهم ما يشوفوش ده، أو غير مدركين كفاية إن رد فعل الشخص اللحظي، غير إحساسه اللي في قلبه.

You can't blame anyone if they don't know any better.

ما تقدرش تلوم حد وإنت شايف كويس إنه ما يعرفش يتصرف تصرف أفضل.

ما ينفعش! الحكم على البشر مش حاجة تقدر تعملها في موقف أو اتنين أو حتى عشرة، وإلا ما كانش ربنا نفسه، اللي خلق البشر والكون، أجَّل الحساب للآخر خالص، لحد ما يشوف النتيجة النهائية، لحد ما يوزن كل أفعالك قصاد بعضها، ويخرج بنتيجة منطقية محسوبة بميزان دهب، تقدر تكوِّن صورة أوضح عنك كإنسان، كويس أو وحش ده مش قرار يحسب بأي حسابات بشرية

إلا إذا كنت مراقب هذا الإنسان طول الوقت، طول حياته، وشايف أفعاله في الصغيرة والكبيرة، وشايف ردود أفعاله، وكاشف نيته، وسامع الصوت اللي في دماغه بيقوله إيه، والقرار اللي بياخده إيه.

عشان تحكم على شخص، لازم تكون إله! لكن عشان تتعاطف وتسامح وتقدَّر وتعفو وتصفح وتترفع وتقول «معلش مش قصده»، دي حاجة نقدر نعملها كبشر، هيَّ بس محتاجة شوية تفكُّر وإدراك، محتاجة إنك تكون بصيت على نفسك، وراقبت نفسك، وحاسبت نفسك، وفهمت في الآخر إنك إنت نفسك صعب تحكم على نفسك، وبكل تأكيد، مش هتحب إن حد يحكم عليك، وهتتمنى العفو والتسامح والتقدير.

لو ده اللي عايزه، حاول يكون ده اللي بتديه للناس، يكون ده الـ«input» بتاعك في الدنيا، عشان في الآخر هيَّ كده.

اللي ـ سوري في الكلمة يعني ـ بتحطه، هوَّ اللي ـ سوري في الكلمة برضه يعني ـ بتاخده. عشان كده أنا مسامح، همَّ كويسين أو وحشين دي مش بتاعتي، دي بتاعة رب الكون، اللي ميزنا الحمد لله بـ«ميسة».

* * *

كنت حمار عشان ما كنتش باسامح حد، فيه ناس قدرت أسامحهم، وفيه ناس ما قدرتش، يمكن لحد قريب!

مفيش شر مطلق في الدنيا، أي شخص له أبعاد بين الخير والشر.

المرَّة الجاية لما تلاقي نفسك بتحكم على حد إنه ابن تيت ويستاهل كل اللي يجراله، حاول تفكر للحظة هوَّ شاف إيه من الدنيا عشان يبقى كده، وحاول تتعاطف معاه، عشان لما بتكره، بتبقى إنت الخسران مش حد تاني.

أنا كنت حمار كبير أوي، لما ما كنتش باسامح!

إنك ما تسامحش حد، ده سجن بتحبس نفسك إنت فيه، مش هُمَّ.

23#
لما اتخانقت

اتخانقتُ في حياتي مرَّة واحدة بس، خناقة حقيقية يعني، وما كررتهاش تاني.

كنت في تالتة إعدادي في المدرسة، نحيل الجسم، طويل الشعر، لابس نضارة، لسه مكتشف العادة السرية وصحتي تكاد تكون منعدمة، وفي حالي.

كان ليَّ صديق في وقتها اسمه أحمد علاء، كان شعره طويل برضه، وجسمه قليل، ولسه مكتشف العادة السرية برضه، وكنا حاسين بنوع من أنواع الصلة أو القرب لبعض، فكنا بنقعد جنب بعض على الديسك، الديسك الخشب القديم أبو درج بتقفله بالقفل الرمادي في نيكل وعليه ٣ حلقات ده.

كنا مسالمين، آخرنا بنزوَّغ عشان نروح ناكل.

كان فيه ديناصور اسمه أمين، كيان ضخم الجسم، وراسه

صغيرة ومش متناسقة نسبيًا مع حجم جسمه، اللي صعب يكون جسم طالب في تالتة إعدادي بهذا الحجم، صعب يكون جسم واحد في مدرسة بصفة عامة. تحسه مارد من بتوع حلقات «مازنجر»! كان شعره إسود، من النوع الأكرت القصير اللي ما بيطولش خالص ده، اللي هوَّ دايمًا طوله ثابت من غير ما يروح لحلاق، ونفس الشكل سواء سرحه أو سابه أو جابه على جنب، هوَّ هوَّ نفس المنظر كأنه عروسة أطفال بلاستيك!

كان معانا في المدرسة، وفي الفصل، وكان دايمًا بيقعد ورايا أنا وأحمد، ويقعد يغلس علينا، يتريق علينا، وعلى طول شعرنا، يتف علينا كور ورق مبللة بلعابه المقزز من داخل قلم جاف بيك منزوع الأنبوبة في أثناء الحصة، وإحنا كل شوية نلف نزعقله، المدرس يشوفنا ويزعقلنا إحنا، فيقعد هوَّ يضحك ضحكة بلهاء يهتزلها كرشه والديسك بتاعه والديسك بتاعنا بالتبعية!

في يوم من الأيام كان مزودها، ومصمم إنه يحصل على رد فعل مننا، وأنا وأحمد بنحاول نركز، بس مفيش فايدة، هوَّ عقد العزم!

زودها لدرجة إنه قعد يشدني من شعري أنا وأحمد، وحط لأحمد لبانة في شعره، وإحنا بنحاول نكتم غيظنا، بس فشلنا!

بصيت لأحمد، لقيته باصصلي بغل وقرف ونفاد صبر. رُحت فاكك قفل الديسك بهدوء وخلعته من مكانه، ولبسته في إيدي، مغطيًا صباعي الأوسط، تاركًا منه الجزء الدائري النيكل فوق صباعي، والجزء الرمادي داخل إيدي. وبصيت لأحمد لقيته

عمل زيي بالظبط. واستنينا الدقائق المعدودة لحد انتهاء الحصة، وأمين مستمر في الاستفزاز وضحكته الكريهة...

جرس الحصة ضرب، المدرس خرج، لفيت أنا وأحمد بهدوء، ونكاد نكون بالتصوير البطيء في مشهد مقارب لأفلام «تارانتينو»، قربنا منه، لقيناه وقف، وطوله كان مبهر فعلًا، نطيت أنا وأحمد تلقائيًا على الديسك في حركة متناغمة بدون أي تنسيق مسبق، وانهالنا على راسه بالبونيات، مرتدين الأقفال الحديد في إيدينا.

أمين اتخض، وحاول يغطي وشه بإيديه، بس غِلِّي أنا وأحمد كان أكبر من جسمه في هذه المرحلة، الخناقة قلب.

فضلنا ننهال على وشه وراسه، لحد ما سمعنا صوت صرخة أنثوية مدوية، ونافورة دم ضربت في وشنا وفي الحيطة، وأمين رفع راسه، ونافورة الدم اللي منبعها جبهته، فوق عينه تحديدًا، بترش دم في أي حتة بيبص فيها، بطريقة تكاد تشبه أفلام الكارتون.

اتخضيت أنا وأحمد، وقَّفنا ضرب، وخدنا خطوة لورا، وأمين بيصرخ صريخ ما سمعتهوش من بنت في حياتي لحد هذه اللحظة غير في الأفلام، وطلع يجري على باب الفصل.

بصيت لأحمد، لقيته باصصلي، بصينا على الفصل، لقيناه كله باصصلنا في ذهول، وصوت صريخ أمين لا يزال في الخلفية، رُحنا راجعين على الديسك بتاعنا في هدوء، حاطين الأقفال مكانها، وقعدنا.

ابتدت الحصة اللي بعدها، وإحنا قاعدين مكاننا، وأمين مش موجود، وفجأة دخل أحد موظفي المدرسة بيطلبنا بالاسم، قمنا بنفس الهدوء، نزلنا لقينا أمين قاعد بيعيط جنب الناظرة، وأمه داخلة تجري وتحضنه، والناظرة بتزعق وتتوعد، وأهلي أنا وأحمد على وصول!

ستر ربنا إن الضرب ما جاش في عينيه، بس جه في أضعف حتة جنب العين، واللي غالبًا بتبقى سبب لنافورة دم فعلًا، ألا وهي منطقة فوق الحاجب مباشرة، بس كان ممكن تيجي في عينه وتروح منه فعليًا بسبب خناقة تافهة في مدرسة! بسبب غضب!

اترفدنا ٣ أيام، ورجعنا بعدها المدرسة، لقينا الناس كلها بتبصلنا بنظرة مختلفة، يمكن خوف، ويمكن عدم اطمئنان لحدود ردود أفعالنا خلاص.

أدركت في ساعتها، وأنا في تالتة إعدادي، إن أنا ما ينفعش أتخانق تاني أبدًا!

ساعة الغضب بتبقى شخص غير متحكم في نفسه وأفعاله. وفعلًا، عمري ما اتخانقت تاني في حياتي، لدرجة إني في أوقات كتيرة كنت بافضَّل أسيب حقي، عشان عارف إني لو خدته، هاخده بغباء، معنديش منطقة وسط للأسف، وهابقى أكبر خسران!

جدير بالذكر إن أمين عمل لاحقًا كأحد الجاردات بأحد الملاهي بشرم الشيخ، وكان أصدقاء المدرسة كعادتهم بيعدوا

من قدامه ويتريقوا عليه ويقولوله: «هنجيبلك هشام يلا»، وكانوا بيحكولي ويضحكوا، بس أنا لما كانوا بيحكولي كنت باسرح، وبافتكر كويس أوي، إني كنت حمار لما ما اتحكمتش في غضبي!

25#
لما افتكرت الدولفين صاحبي

الفترة اللي فاتت من حياتي كنت باحضر قعدات كتيرة أوي فيها مراجعة للتاريخ والرموز من معارف وأصدقاء، وعرفت منهم معلومات مخيفة هدمتلي رموز وشخصيات عامة كتيرة كنت باحترمهم، بس كل ده كان عادي، ما كانش فارق أوي، اللي أثر فيَّ فعلًا كان الدولفين.

مؤخرًا اتفرجت على أفلام تسجيلية كتيرة عن الدرافيل، والحقيقة الأفلام دي هدمتلي أكبر رمز في حياتي.

موضوع إن الدولفين بيحب الإنسان وصديقه، كان أحد أسباب تمسكي بالأمل في الحياة، وأد إيه شيء جميل إن فيه كائن في البحر بيحبنا، وضهر وسند لينا في الميه، لكن اللي اكتشفته بعد مشاهدة الأفلام دي، كان أي حاجة تانية غير الحب والأمل، وبعيدًا عنهم تمامًا.

الدرافيل طلعت في الحقيقة (أغلبها) كائنات متحرشة جنسيًا و«Sexually aggressive»، وكانت فيه حالات كتيرة مسجلة، وعرضوها لدولفين بيحاول يغتصب غطاسين وسباحين، رجالة وستات، الاتنين، مش بيفرق معاه حتى، بتاع شهوة وخلاص!

لما تعيش طفولتك وحياتك كلها مؤمن إن ليك صديق في البحر ممكن ينقذك من القروش والكائنات البحرية الشرسة، ويطلع في الآخر صديقك الوحيد ده مغتصب، وباي سيكشوال كمان، وطول الوقت ده كان بيدِّعي إنه صاحبك لمجرد إنه مشتهيك، طبعًا الموضوع ده كان كفيل إنه ينكد عليَّ، ويفقدني الثقة في المجتمع عمومًا، والمجتمع البحري على الأخص!

مفيش لحد دلوقتِ حالة مسجلة لدولفين بيغتصب بشر فعليًا، ما حصلش إيلاج يعني بمعنى أدق، بس في حالات كتيرة كاد أن يفعلها قبل ما يحصل تدخل وإنقاذ للضحية. والعلماء اللي شغالين على الموضوع ـ ومش عارف الحقيقة شغالين عليه إزاي؟! هل بيخلُّوا ناس عريانة ملط تعدِّي من قدام دولفين ويدرسوا رد فعله؟ ـ ما بيستبعدوش الموضوع خالص، وشايفين إنه فعليًا مش مستحيل، وممكن يحصل حالة اغتصاب كامل لبشر من دولفين!

عادي جدًا، ممكن إنك تكون رايح البحر ولابس مايوه، ونازل تعوم وسعيد وحاسس إنك إنت والبحر والطبيعة بقيتوا شيء واحد، وتحررت من قيود المدينة والزحام، وييجي فجأة

دولفين يركب عليك ويقعد يكارك، ويكسر عينيك قدام الكائنات البحرية كلها، وتمشي مش عارف ترفع عينيك في كابوريابة حتى، اللي هيَّ أصلًا عينيها راكبة بره بسلك خارجي عشان ما كانش فيه مكان في وشها!

الموضوع مخيف جدًّا، ويمكن بعد فيلم «Jaws» فيه ناس كتير راجعت موقفها من نزول البحر، وأنا شخصيًّا بعد موضوع الدولفين المغتصب، هاراجع موقفي من البحر، و«ماجيك لاند».

أما على البر بقى، نفس الكلام ده وجدت إنه بينطبق على الأصدقاء بصفة عامة، حرفيًّا أكتر واحد بتبقى فاكر إنه صاحبك، بيطلع في النهاية هوَّ أكتر واحد نفسه يغتصبك!

أنا الحقيقة كنت حمار كبير أوي، عشان كنت باقول على أي حد إنه «صاحبي»!

الكلمة دي، أو اللقب ده يعني، ما ينفعش يصدر لشخص غير بعد سنين طويلة من الوفاء والإخلاص!

كلمات زي «باحبه»، «باثق فيه»، «صاحبي»، «أخويا»... خسرتني كتير!

صدَّقني، اللي تفتكره موسى، يطلع حمدي الوزير!

27#

لما ركبت مع أحمد

ركبت من كام يوم مع إحدى شركات التوصيل (عشان ما أبقاش باعلن عن شركة منها)، مع شاب ظريف وابن ناس ومشغل مزيكا حلوة وعربيته كويسة ونضيفة.

أول ما ركبت عِرفني، وسلِّم عليَّ، وعرَّفني بنفسه، وقالي إن اسمه أحمد، وقالي «ارجع بقى»، و«فين البرنامج؟»، والكلام ده كله، وعزم عليَّ ببونبوني، ابتسمت وشكرته وقلتله:

ـ شكرًا، مليش فيه أوي.

بصلي كده، وسرح في وشي، وقالي:

ـ طب نِفسك في إيه؟

قالها بجد فشخ، مش اللي هيَّ عزومة يعني وإفيه في وسط الكلام!

من كُتر ما قالها بجد، لقيت نفسي فعلًا فكرت شوية، وجه في دماغي ١٠٠ حاجة، لحد ما افتكرت.

بصيتله، وقلتله:

ـ بصراحة، نفسي من وأنا صغير أركب عربية، وأشاور على عربية تانية وأقول للي سايق: «ورا العربية دي».

ابتسملي ابتسامة جميلة، معناها: «بس كده؟»، وقالي:

ـ سهلة، اخترلك عربية من دول.

وشاور على كل العربيات اللي في الشارع من خلال الزجاج الأمامي.

فرحت جدًّا زي العيال الصغيرة، وابتسمت ابتسامة طفولية، وشاورت على عربية عشوائية، وقلتله:

ـ ورا العربية دي!

وأنا مش مصدق إن أحمد اللي قابلته بأكثر طريقة عشوائية ممكنة، فجأة يحققلي حلم من أحلامي!

راح طالع وراها فعلًا وبسرعة، كأننا في مطاردة في فيلم أكشن عربي سخيف من السبعينيات، وكان مركِّز جدًّا مع العربية، وإداني إحساس الموضوع، وعيشني اللقطة فعلًا، وأنا مبسوط فشخ، ومستمتع جدًّا، لحد ما ابتديت آخد بالي إننا بنبعد عن وجهتي تمامًا، والراجل الغلبان اللي إحنا كنا قاطرينه ده تقريبًا أخد باله، وابتدى يتوتر، ويبص في المراية كل شوية، والعربية عومت منه تعويمة بسيطة مرتين تلاتة.

ما كنتش حاسب إحساس الشخص اللي هيلاقي عربية فجأة طلعت وراه، ما حسبتش وقْع إنه يلاقي عربية متفيمة

ماشية وراه لحظة بلحظة، وحسيت إن الموضوع ابتدى يبوَّخ الحقيقة.

بصيت على وش أحمد، لقيته مستمتع، بس الابتسامة الجميلة اللي كانت على وشه ابتدت تتحول لابتسامة شريرة شوية، فابتديت أقلق أنا كمان بصراحة، وعلى أد ما كنت متردد بس قلت مبدهاش، وطلبت منه بهدوء يشوبه الريبة وشيء من الخوف إننا نكمل على البيت، وقلتله:

ـ كفاية كده خلاص بقى، وعشان الراجل الغلبان ده كمان زمان أعصابه في رجليه، وممكن جدًّا يكون هربان من حد ولَّا عليه تار ولَّا حاجة، وإحنا نشفنا ريق اللي خلفوه!

استجمعت قوتي وقلتله كفاية.

بصلي تاني كده، وسكت شوية، والابتسامة اختفت من على وشه، وحسيته اتضايق إني فصلت اللحظة الجميلة اللي كانت ما بيننا، بس في ثانية رجع ابتسم تاني، وقالي بطريقة «creepy» جدًّا:

ـ يلَّا، آديني هاشوف بيتك فين بقى!

وراح ضاحك ضحكة هيستيرية.

هنا بقى الخوف ابتدى ياخد ليفيل تاني خالص، وابتديت أشخ على روحي سِنَّة صغيرة، مش كتير يعني، سِنَّة بس، وقررت في جزء من الثانية إني ما ينفعش أروَّح وأورِّيه بيتي الحقيقي فين بأي شكل من الأشكال، وإني هاعمل نفسي بصيت في الموبايل

وهاقوله وجهة تانية خالص، قال يعني المشوار اللي كان عندي اتلغى وهاضطر أروَّح بيتي بقى وكده.

عملت كده، وبصلي تاني وأنا باقوله، وحسيته مكدبني شوية، بس رجع ابتسم تاني وقالي وهوَّ بيهز راسه موافقةً:

ـ ماشي.

قالها بطريقة فيها حركة شفايف غريبة، شُفت من خلالها كل سنانه!

الفترة الأخيرة من المشوار مرت عليَّ مرور عصيب، تخللتها أسئلة من أحمد زي: «إنت عايش لوحدك؟» «مش عايز تسافر؟». وخلاص بقى الرحلة اللي كان المفروض إنها ممتعة بقت مخيشة تمامًا.

وصلنا عند بيتي الوهمي، «كنتاكي» الحصري، وحاولت أنزل من غير ما ياخد باله، بس لقيته مسكني من إيدي، وبصلي بصة ثاقبة، وقالي:

ـ معانا نِمَر بعض بقى ها؟

استجمعت قدرتي إني أبتسمله، وقلتله بصوت مهزوز:

ـ ها!

وأنا باهز راسي موافقةً.

نزلت من العربية وأنا حاسس إن القدر بيعاقبني عشان الراجل الغلبان اللي مشينا وراه وروَّعناه ده، ولقيت أحمد لسه واقف! قررت إني هادخل «كنتاكي» زيادة في التمويه، وعشان ياخد

فرصته ويمشي، لقيته لسه واقف برضه، وعينيه عليَّ، فقررت إني أطلب حاجة عشان ما يشكش فيَّ، وجبة «سناك بوكس سبايسي»، وعلى حظي الوسخ، الأوردر كان جاهز!

بصيت على الفراخ لقيت شكلها زي الخرا!

بصيت على أحمد لقيته لسه واقف!

هنا كنت قررت أستسلم لقدري خلاص.

قعدت آكل في التلبُّك المعوي المقلي ده، وأحمد عينيه مش بتتشال من عليَّ، ومتابعني من ورا إزازين، إزاز كنتاكي، وإزاز عربيته!

مع كل قطمة مقززة، حسيت إني اتعلمت هنا درس كويس أوي: مش كل حاجة بتتمناها وبتحلم بيها بتبقى حلوة زي ما إنت فاكر، خصوصًا أحلام الطفولة، وخصوصًا مع أحمد. والشخص اللي أنا غالبًا تسببتله في أزمة قلبية ده، وغالبًا زمانه هوَّ كمان مستخبي في «هارديز» عباس العقاد ولَّا حاجة، هاشيل ذنبه للأبد، وطول ما هو حاسس بالتهديد، هافضل أنا حاسس بإسهال!

29#
لما صدَّقت

الحمد لله، القدر كريم معايا جدًّا في القصص اللي بتحصلي، يعني مثلًا، النهارده نازل من اجتماع جَد جدًّا، ركبت مع سائق إحدى شركات التوصيل، وأول ما ركبت معاه سألني:

ـ حضرتك مهندس؟

قلتله:

ـ مهندس كمبيوتر. إشمعنى؟

قالي:

ـ أصل الـ«T» باينة في وشك!

خدت تلات أربع ثواني باجمَّع إنه بيهزَّر وأنا باتفحص وشه، وشُفت في ملامحه لحظة انتظار السوكسيه، ورُحت ضاحك.

بس، وعنها بقى، ابتدينا رحلة قلش رهيبة بدأت من:

ـ ليه الصيدلي بنى عمارة؟

ـ عشان يسكِّن الألم.

ـ وليه هدها؟

ـ عشان بنادول إكسترا.

مشوار مستمر من القلش، وأنا مسخسخ ومش مستوعب اللي بيحصل، انتهاءً بـ:

ـ إيه أقدم حيوان في جنينة الحيوانات؟

ـ الحمار المخطَّط، عشان أبيض وإسود.

ـ وإيه أجدد حيوان؟

ـ القنفد، عشان لسه بشوكه.

وأنا ما زلت واقع في الكرسي من الضحك عشان فيه راجل عنده ٦٠ سنة راكب «سيراتو» حمرا طلعلي من تحت الأرض بيحاول يفك وشي الجَد، غير طبعًا أداؤه الواثق في نفسه ثقة متناهية وكأنه بيرمي جواهر، وهوَّ مبسوط، وأنا مبسوط ونازل مسخسخ من العربية وسعيد!

بس طبعًا مش دي القصة، القصة كانت في حد تاني خالص.

عادةً لما بالاقي حد شكله مش اختياره الأول إنه يسوق بانكشه، وأحب أسمع منه قصته، خصوصًا بعد موضوع شركات التوصيل ده.

سواقين التاكسي زمان كانوا بيتفننوا في تأليف قصص درامية تقطع قلب هتلر، عشان تزودله في الأجرة، أو تسيبله باقي العشرين. بعد موضوع الشركات وتحديد الأجرة والخدمة، بقوا بيقدروا يبقوا على طبيعتهم أكتر، زي الكوميديان بتاع الصبح.

الراجل كان شكله محترم، لابس نضارة دقيقة، تحس إنه

بيشوف بيها أخبار بُكرة، وكاب منزِّله على وشه، كأنه بيحاول يتنكر من مراية الصالون نفسها.

أثار فضولي واهتمامي، رُحت ناكشه على طول، وأنا في النكش ما أقولكش.

الكلام جاب بعضه، وحكالي إنه مهندس شبكات، عنده ٤٢ سنة، شخصية عادية حتى الآن، بس الإفيه الحقيقي كان في ماضيه، والخبر نزل عليَّ كالصاعقة بعد كلام كتير جاب بعضه، لما قالي إنه كان من «عبدة الشيطان»، الساتانيكس بتوع «ماكدونالدز» الميرغني في التسعينيات دول في وقت هوجة الحوار ده، وهوَّ ما كانش بيعبد الشيطان شخصيًّا، بس كان بيسمع ميتال، وعايش الحالة، وبيتقابلوا عند ماك وكده، وبصيتله بتفحُّص الحقيقة، وسرحت كده شوية.

الراجل ده كان في وقت من الأوقات شايف نفسه منتمي لمجموعة كول وروشة، وبيسمع مزيكا نُص اللي عاملينها مضطربين نفسيًّا، ومصدقها، وعايش لحظته، ومؤمن إنه جزء من حاجة كبيرة، والنهارده فيه واحد قاعد جنبه بيقوله يمين في شمال اللي جاي.

النزلة من التيشيرتات السودا والهيد بانجينج والشعر الطويل، إلى «تحب أشغل التكييف؟»، كانت تقيلة عليَّ شوية.

ابتديت أراجع نفسي: هوَّ الصح إني أعيش اللحظة وأصدقها، ولَّا فيه هبل ما يتصدقش تحت أي ظرف؟

* * *

فيه تلات قصص مهمين بيتفتحوا في دماغي أوي لما باسأل نفسي السؤال ده.

أول قصة بدايتها كالتالي:

«هاعملك فيزا خطوبة، وهتيجي وهتتعلم وتشتغل، والتعليم ببلاش، والشغل على قفا من يشيل، وهيبيه هتبقى ميغة يا إتش».

دي كانت صاحبتي الأمريكية البلغارية، اللي قابلتها على الإنترنت وأنا بانزِّل أغنية عربي من على سوفت وير اسمه «Kazaa»، قبل الـ«Torrent» والحاجات دي، كنت بانزِّل من عليه كل حاجة، أفلام، برامج، أغاني، سكس، كان بمثابة «سيتي ستارز» للترفيه على الإنترنت، وكانت هيَّ الوحيدة اللي ما داستش «Cancel upload». أوبشان كان كل الناس، والمصريين على الأخص في الوقت ده، بيستخدموه، بسبب ضعف الإنترنت مش أكتر.

استجمعت كل قوتي الفليرتية، وابتديت أتكلم معاها، وفي خلال أسبوعين كانت في القاهرة.

«أراميكس» و«فيديكس» ما بيشحنوش بالسرعة دي.

قعدت في مصر أسبوعين، فسَّحتها، ركِّبتها كل حاجة ممكن تركبها، الحنطور والهرم وأبو الهول وأنا شخصيًّا وكل حاجة، كانت أول علاقة كاملة في حياتي، وهيَّ حبتني لدرجة إنها قررت إني لازم أروحلها أمريكا، كانت عايزة تشحني، على كمان شوية

لعب في دماغي، وتقولي التعليم ببلاش، والمواصلات ببلاش، وكلنا عايشين في قصور وفِلل هنا.

أنا صدَّقت زي المغفل، ما كنتش رُحت أمريكا قبل كده، ولا حد من قرايبي من الدرجة الأولى، وما أعرفش أي حاجة عنها غير إن كان فيه أتوبيس عليه قنبلة و«كيانو ريفز» وقَّفه في الوقت المناسب.

تحمَّست جدًّا، وحسيت إن ممكن يكون فيه مكان في العالم البحر فعلًا فيه طحينة، ومشيت في الورق والإجراءات، وأجَّلت جامعتي تيرم كامل مع اعتراض أهلي طبعًا، بس كان عندهم حتة أمل إني أبقى حاجة كبيرة. ركبت الطيارة وأنا حاسس إني مقبل على مرحلة تاريخية وحياة أجمل بكتير.

رُحت طبعًا لقيت مفيش الكلام ده يا معلم، الجامعة كانت بعشرين ألف دولار، والشغل، اشتغلت عامل نظافة في محل لملابس الأفارقة الأمريكيين كبار الحجم في هارلم، لسبب ما حجمهم بيكون أكبر من العادي، فعندهم محلات وخطوط أزياء لوحدهم اسمها «Big and Tall» بسم الله ما شاء الله، ولك أن تتخيل حجم المحل بقى، فقصة النضافة كانت مرهقة فشخ.

اللي ما يعرفش هارلم بقى، فهي أفريقيا الصغيرة في أمريكا، بكل مشتملات أفريقيا، ميكس كده، محلات على مواطنين، على عصابات نيجيريين، على قراصنة صوماليين، على ناس طيبين وغلابة وفنانين مجهولين لقوا نفسهم في أمريكا بدون

تعليم أو فرصة حقيقية، ومرميين أغلبهم في الشوارع بيسموكوا ويد أو بيطبلوا على علب بلاستيك أو الاتنين، وفيه الهوملِيس اللي مرمي في الشارع ببطانية، وفيه اللي اتجنن وماشي بيزعق في كائنات لا تُرى بالعين المجردة، وفيه وفيه... قصة يعني.

البنت بقى طلعت ساكنة في إحدى مناطق بروكلين مع أهلها، مش بعيدة أوي عن هارلم، بتنقسم أحياء: العرب، اليهود، الروس، وهكذا. وإحنا المفروض هنقعد معاهم لحد ما نظبط حالنا.

أبوها كان عامل نظافة، زميل يعني، وما كانش عندي مشكلة مع ده خالص، بس كان عندي مشكلة إنه كان بيسرق من المحلات اللي بينضفها، وييجي يوريني عادي، اللي هوَّ شفت سرقت إيه النهارده؟ وأنا أبصله بابتسامة فخر مزيف وأقوله «برافو» وكده.

كنت خدت صدمة رهيبة طبعًا، وقفشت وقلتلها «إنتِ ضحكتِ عليَّ» وكده، وهيَّ كانت بتحاول تصبَّرني، وأنا قلت معلش، وإحنا في أمريكا، والحياة صعبة، والتعليم طلع بعشرين ألف دولار «يا بنت التيت يا كدابة»! والراجل سايبني أنام في أوضة بنته، والسرير بتاعنا بيخبط عنده في الحيطة، وسامع صوتها وهيَّ فيه حد بيستجوبها جوه استجواب عنيف، وساكت، وبيقابلني وأنا خارج من الأوضة بالبوكسر بالليل رايح الحمَّام، وهوَّ لسه خارج من الحمَّام، وبنقف قدام بعض في لحظة «awkward» جدًّا، وساكت، وكان دايمًا بيبصلي بصة اللي هيَّ أنا مش عارف هوَّ عايز يقتلني ولَّا ينام معايا! المشكلة كمان إنه

كان عنده شنب عريض فشخ، شنب فلاحين بلغاريا الأصليين، شنب في حجم نسر بالغ، ممكن يقرر في أي لحظة يفك من على بُقه ويحلق ويطير بعيدًا بكل حرية، والشنب ده بالإضافة لكل اللي كان بيحصل كان شيء «confusing» جدًّا. بس المهم إنه كان مستحملني، وكلهم كانوا شايليني فوق راسهم الحقيقة، ووروني الكرم البلغاري الأصيل.

قلت معلش، هاكل خرا وهاكمل حياتي، أنا حمَّال أسية بطبعي، وهاستحمل تحرشات إخواتي الأفارقة الجُمال وأنا رايح وراجع من الشغل، ومحاولات تقليبي من فلوسي أو الساعة أو أي حاجة، مش مشكلة، إحنا أفارقة زي بعض لو مش هنشيل بعض مين هيشيلنا!

ابتديت أترقى في الشغل في وقت سريع، وأبقى سيلز بدل نضافة، وأبيع وأطلّع فلوس زيادة وكده، وافتكرت إن الدنيا هتتطور. لحد ما قابلت «أندريا»، مش بتاع الفراخ للأسف، ده كان الإكس بتاع صديقتي، بلغاري هوَّ كمان، نفس فكرة الشحات مبروك بس متوزع على مساحة أكبر، أعتقد مساحته كانت تلاتة في أربعة متر، كان داخل البيت ساعة الغدا، وماشي بالتصوير البطيء، هوَّ لوحده، كل حاجة حواليَّ كانت ماشية بسرعتها الطبيعية، كان أوضة متوسطة الحجم لوحده، وأهلها طبعًا بيحبوه أوي وعايزين يصالحوهم على بعض عشان متربي على العادات والتقاليد البلغارية الخالصة، ولسه راجع من بلغاريا كمان، يعني

فيه ريحة الأرض الطيبة، عشان كده ما كنتش قابلته لحد وقتها. وبس بقى، أهلها بيجيبوه يتغدى معانا كل يوم، ويتعشى معانا، ويقعدوا بعد العشا يفكروه هوَّ والبنت بذكرياتهم مع بعض، وأنا قاعد في وسطهم باجز على سناني كل ما تفصيلة حميمية تتقال، ولو جدع أفتح بُقي، ما هيَّ الحرية اللي مقعداني عندهم في البيت في أوضة بنتهم، هيَّ نفس الحرية اللي هتقعدني كل يوم وشي في وش «أندريا» الدرفيل ده!

هيَّ ما كانتش بتحبه ولا طايقاه، وكانت بتحبني، بس مش قادرة تفتح بُقها برضه، عشان إحنا قاعدين مع أهلها وما بندفعش إيجار، بالعكس، هيَّ كانت بتحاول تريحني وبتدور على بيت نأجره سوا لوحدينا.

فضلت أترقى في الشغل بسرعة لحد ما بقيت مدير تنسيق مع الفروع، وكنت شاطر، بس ما كنتش مبسوط، والضغوط كانت بتزيد، والبنت بتزن عشان نعزِّل، وأنا لسه معييش فلوس كفاية عشان بنخلصها أول بأول، وأبوها وأمها ابتدوا يقلبوا مصريين ويلقَّحوا كلام، زائد ساعات الشغل الطويلة، زائد تحرش إخواتي الأفارقة اللي كان أوفر بصراحة، زائد «أندريا» الحلُّوف ده كمان، ومش طايق نفسي، وفلوسي وقعت مني، وأهلي واحشيني، ومصر واحشاني، وكل ده والمفروض أحافظ على أدائي مع البنت، ما أنا بالعب باسم مصر برضه، فانفجرت انفجار واحد عنده ١٩ سنة، فجأة لقى نفسه مطلوب منه يكافح

في أمريكا ويبقى حاجة كبيرة، وينسى شهادته في مصر، ويبقى «رون جيريمي» في أوضة النوم.

اتخانقنا، ولميت هدومي في شنطتي بدون أي وجهة، ومشيت، فضلت هائم على وجهي في عربيات مترو الأنفاق، أفكر شوية، وأنام شوية مستندًا على الشنطة علشان محدش ياخدها مني. وقعدت عند أجدع صاحب وأخويا الكبير اللي أكنله كل الحب والعرفان بالجميل، محمد جاد، اللي كان بينام على الأرض وينيمني على سريره، ونقلت من عنده لكنبة في بيت فتحي وصفوت، مصريين أربعينيي السن في ذلك الوقت، وكانوا هاجروا لأمريكا من زمان لأسباب تتكتب في فيلمين منفصلين، لحد ما قررت الرحيل بعدها بفترة قصيرة.

قررت أرجع وآخد شهادتي وأبقى بني آدم طبيعي وأكمّل في بلدي، وفي نفس الوقت أحمي نفسي من تحرش إخواتي الأفارقة اللي ما زلت شايفه كان أوفر بصراحة!

حاولت تصلّح معايا لما عِرفت إني راجع، بس كنت خلاص خدت القرار.

الغريب إني وأنا ماشي انهالت عليَّ عروض الشغل بمرتبات خرافية، وفي أماكن كلها ليها احترامها، بس برضه كنت خدت القرار.

كان صعب في الوقت ده بالظروف دي!

* * *

القصة التانية كالتالي:

«هنعدي عليك دلوقتِ بإذن الرحمن، خد دش كده وانوي نية الوضوء على ما نكون جينا».

قالها من الجامعة صديقي الملتزم دينيًّا، زغلول، وهوَّ في الطريق لبيتي في عربية سكودا فابيا أخضر غامق، وفيها تلات إخوة آخرين ملتحين غير زغلول.

كنا رايحين درس للشيخ محمد حسين يعقوب في أحد مساجد السيدة عائشة، أنا قاعد ورا في النُّص كأنهم بيأمنوا إني ما أهربش.

لمَّا رجعت من أمريكا كمِّلت دراستي في الجامعة بطريقة طبيعية، بس كان باين عليَّ أوي إني تايه شوية، مريت بحاجات كتيرة في سن صغيرة، وحاسس بشوية ارتباك، شوية حزن، شوية وجع قلب! حاسس بالوحدة عشان صحابي سبقوني بتيرم وبقيت مع الدفعة الأصغر! حاسس بشوية ألم عشان خسرت قصتين حب في أقل من ٦ شهور، واحدة في الجامعة، وواحدة في أمريكا!

كنت باحاول أتفادى حبي القديم وأصدقاءها، وواخد جنب في الجامعة، بعد ما كنت في إحدى أهم مجموعات الجامعة اللي محبوبين ودمهم خفيف.

أصدقائي المقربين في الجامعة كانوا في بداية الطريق للإدمان، والباقي بيستكشفوا حياتهم خارج نطاق الصداقة مع أصدقاء جدد.

«متخبط»، هي الكلمة الأصح.

وقتها كنت فريسة سهلة لقوات التدين السريع.

مجموعات بينتشروا في أي جامعة طول الوقت، بيحاولوا يكبروا حجمهم وعددهم، وبيدوروا طول الوقت بعين متفحصة للغاية على واحد زيي كده، وفي ظروفي.

الموضوع ابتدى تدريجي جدًّا، أول حاجة بيعملوها كانوا بيقعدوا معاك لما يلاقوك قاعد لوحدك، يتقربوا منك، يرفعوا من معنوياتك، تعارف لذيذ ومدروس كويس.

يبتدوا بعدها ياخدوا خطوة بسيطة:

ـ تعالى صلي معانا الضهر في مسجد الجامعة، تعالى، هترتاح.

أي حد زيي، في وقت زي ده، كل اللي بيبقى بيدور عليه إنه يرتاح، فبتصدق غصب عنك، وبتسمع اسم ربنا بتحس بارتياح غصب عنك.

ابتديت أروح، وأنتظم في الصلاة وفي مواعيدها، لدرجة إني بسرعة بقيت الإمام في المسجد في أوقات كتيرة، وأول واحد بيروح، وبيأذن كمان.

لحد دلوقتِ حلو، مفيش مشاكل، بس ده وقت الخطوة اللي بعدها:

ـ تعالى نحضر درس مع بعض، هترتاح وتستفيد.

إنت بتكون روحك المعنوية عالية شوية، جزء من مجموعة، بيعاملوك كويس، بيحسسوك بأهمية إنت مفتقدها، فبتروح.

برضه الدروس بتكون مدروسة كويس أوي، الشيوخ بيكونوا عارفين إن الشباب هيجيبوا معاهم مستجدين، وغالبًا همَّ اللي قالوا للشباب حاولوا تجيبوا ناس جديدة معاكو، فبيبتدوا دايمًا بدروس خفيفة، حاجات سهلة: لماذا لا تصلي، الصيام، العبادات. تمام، لحد دلوقتِ مفيش مشاكل برضه غير المشكلة الأساسية، كره وسب الديانات الأخرى وتصنيفهم كأنجاس، ورفع قيمة الانتماء للإسلام بشكل غير منطقي، بشكل مرضي، بشكل بيربي غرور واستحقار للآخرين عند شباب لا يزيد عمره عن ٢٠ أو ٢١ سنة، بشكل يخلِّيك مع الوقت تلغي آدميتهم وتشعر بالرضا عن أذيتهم.

الدرس التاني دايمًا بقى بيكون: أطلقوا اللحية. طبعًا ده كان قبل ما الدقن تبقى موضة، والعالم كله يكتشف إن الراجل من غير دقن بيبقى شكله طفل حديث الولادة.

بعد الدرس التالت تقريبًا، كان بقى لينا مسجد معين بنتقابل فيه، «الإخوة» يعني، بنتجمع كلنا، شباب من مختلف أطياف المجتمع وطبقاته، وكلهم صغار السن، بس لابسين جلاليب بيضا وطاقية، ودقونهم في طول دقن ياسر جلال على آخر حلقة من «رحيم» مثلًا.

في الوقت ده بيبتدوا يعملولك ربط بشخص، تسميه بقى شيخ، تسميه أمير، هوَّ يعني بيدوَّر الليلة من الآخر، وبيبقى مسؤول عنك وبتسمع كلامه.

قعدة في التانية في التالتة، كلها بعد صلاة العشاء، بيكون

ابتدى يطلب طلبات، تبدأ بسيطة برضه ومدروسة ومحببة للنفس، وبتزيد تدريجيًّا. وكنت سلفي من غير ما آخد بالي.

في الوقت ده، كان كل أهلي بيحاولوا يحذروني من الانتماء لمجموعة زي دي، وخصوصًا أبويا الله يرحمه، كان بيقولي دول هيبوظولك علاقتك بربنا.

وقد كان.

بعد مجموعة معينة من الدروس، كانت جرعات الكره بتزيد، بتزيد لدرجة إني قاعد في الدرس حاسس بتقل على صدري وأنا باسمع شتيمة واحد مسيحي ولَّا واحد يهودي ولَّا بوذي حتى.

ليه نبقى قاعدين في بيت ربنا اللي خلق الناس كلها، اللي بيحب الناس كلها، بنشتم ناس وبنكرههم؟

حسيت بحاجة غلط، أو حاجات يعني، وعلى آخر درس حضرته كنت قفلت من هذا الكم من الحَقن المدروس للكراهية، اللي كان طول عمري بالنسبة ليَّ عكس مبدأ الإسلام نفسه: تسليم الأمر لله، والتسامح، والعيش في سلام مع الكوكب كله.

بعد الدرس ده اتطلبنا في قعدة مع الأمير، برنس المجموعة، وقعدنا قدامه، وكان بيتكلم بجدية شديدة، وقالنا:

ـ النهارده، هنشتغل على مهمة في غاية الخطورة.

أنا سمعت الكلمة دي، ورُحت قايم من مكاني بكل هدوء، وبكل عادل إمامية قلتلهم:

ـ يلَّا سلامو عليكم أنا بقى.

ما شفتهمش تاني، لسبب إني ما كنتش عايز أشوفهم، ولسبب آخر هوَّ إنهم كلهم اتشدوا على أمن الدولة بعدها بأربع أيام تقريبًا، في ضبطية كانت تعتبر إنها منعت حاجة معينة بالنسبة للدولة، أيًّا كانت بقى.

وقتها حلقت دقني، وحسيت إني قرفان من الدِّين ومن الإسلام كله بكل صراحة، وقعدت تقريبًا سنة منقطع عن أي حاجة ليها علاقة بربنا!

كنت حاسس إني اتخدعت في الإسلام، ومش حابب أنتمي ليه، بسببهم!

بس رجعت بطريقتي الحمد لله.

* * *

القصة التالتة والأخيرة هتكون غريبة شوية، بس عشان هاحاول ما اتكلمش كتير على صفحة اتقفلت في حياتي:

«امضي وما تقلقش، العقد ده هيترمي في الدرج أصلًا محدش بيستخدمه».

لما بتكون جديد على وسط معين، وشاطر وموهوب بعض الشيء، بتكون العين عليك.

العين دي بقى ممكن تكون عين شخص معجب بيك، شخص يحب يشتغل معاك، شخص عايزك تساعده في إنه يوصل لبداية الطريق هوَّ كمان. وممكن برضه تكون عين شخص ممكن يعمل أي حاجة عشان الفلوس، أو عشان الشهرة، أو عشان الاتنين.

أي حاجة في الوسط الفني بتمشي بعقود، وده العادي في أي حتة، بس مقدار لهفة الشخص اللي قدامك إنه يمضِّيك على عقد هوَّ شيء دائمًا وأبدًا بيدل على حاجتين: هوَّ شايفك شاطر أد إيه، وشايف يقدر يطلع منك فلوس أد إيه.

في وقت ما في حياتي ما كنتش فاهم موضوع اللهفة ده، وما كنتش فاهم موضوع العقود، المرَّة الوحيدة اللي قابلت فيها محامي كان عشان أتجوز واحدة روسية مش أكتر! وما كنتش فاهم بالتحديد يعني إيه شرط جزائي، كل اللي أعرفه عنه كان من الشخص اللي بيمضِّيني، ووفقًا لكلامه، الشرط الجزائي ده «بند صوري»، لازم يتحط في أي عقد، ولا يستخدم بتاتًا.

أنا زي العبيط، صدَّقت!

ده جزء.

جزء تاني بقى...

الشغلانة دي علاقات، ومش علاقات بالمعنى العادي، هيَّ فكرة مين هيقول إيه على مين لمين.

كيف تتحكم في مستقبل شخص بإنك تقول عنه حاجة، سواء صح أو غلط.

إزاي؟

عشان الناس بتحب الكلام، الموضوع زي فيلم «إينسيبشان» كده، ممكن تزرع أي فكرة عن أي حد بمجرد جملة بسيطة تقولها لحد معين في مكان معين. وتكون ابتديت سلسلة من الحديث

اللانهائي اللي بينتهي في الآخر بعد اللفة الكاملة للكلام، وكأنه كلام مبني على حقائق مثبتة. بالإضافة طبعًا للتجويد، والإضافات والتحابيش، وكل واحد يحط التاتش بتاعه، والسلب عادة بينتشر أكتر من الإيجاب.

إنت ممكن لو باني صورة معينة قدام الناس، حتى لو مش حقيقية، وراسم رسمة معينة، وعامل نمرة معينة، الناس تسمعلك، وتصدق إنت بتقول إيه عن شخص، قد يكون - وفي الأغلب - بعيد كل البُعد عن كلامك. بس هوَّ للأسف، أسلوب بيستخدم في تصفية الحسابات، حتى لو الحسابات دي ظالمة.

بعد سنين طويلة من التفكير ومحاولات الفهم المستميتة، نجحت الحمد لله في إني أتخلص من حاجات كتيرة، منها الجزءين اللي فوق.

* * *

بعد التلات قصص دول، مضطر أرجع للسؤال الأساسي: هوَّ الصح إني أعيش اللحظة وأصدقها، ولَّا فيه هبل ما يتصدقش تحت أي ظرف؟

الفكرة إني فعلًا كنت حمار في حاجات كتيرة، بس لما حسيت إني حمار، وقفت مع نفسي!

كل مرَّة خسرت فيها في حياتي كانت بسبب إني صدَّقت! صدَّقت حد، صدَّقت كلامه، أو وعوده، أو حتى صدَّقت رأيه فيَّ!

صدَّقت!

مش عشان غبي، مش عشان عنيد، مش بسبب جهل، مش أي صفة وحشة، عشان بس، صدَّقت!

يعني تصدَّق اللي يقولك «باحبك»، واللي يقولك «أنا خايف على مصلحتك»، أو «هتاخد فلوسك»، أو «امضي هنا»، وحتى اللي يقولك «أنا حاسس بيك».

مصطلح «الأولد دوج» أو «الكلب العجوز»، ده مصطلح عظيم جدًّا لأسباب كتيرة أوي، أولها إني لما باروح سينا باتفرج على كلب جميل اسمه «بوي».

«بوي» ده لما تشوفه بتشوف على وشه ندبات كتيرة أوي، الجروح بتاعة كل معركة دخلها، وبتشوف على وشه هدوء عجيب حتى في الوقت اللي كل الكلاب بتعوي فيه بشدة وعنف ويبدو عليها التوتر، ولو حبيت أقوم وأشوف إيه اللي بيحصل، «بوي» بيقف مكانه، ويقف في طريقي، وكأنه بيمنعني، أو بيقولي «وفر مجهودك».

«بوي» عارف كويس أوي إيه المعارك اللي يدخلها ويخرج منها منتصر وبطل ومبسوط بنفسه، والمعارك اللي ما يدخلهاش أصلًا لأنها هتبقى خسرانة من قبل ما يدخلها. بس المعركة اللي بيدخلها، لما بيقوم من مكانه فعلًا، كله بيجري، كله بيبقى عارف إن «بوي» هياكله بسنانه ومش هيرحمه، عشان عارف إنه هيكسب المعركة دي، عن خبرة.

«بوي» ما بيدخلش معارك كبرياء، عشان الطريقة الوحيدة إنك تكسبها إنك ما تدخلهاش أصلًا، إنك ما تكونش محتاج تثبت حاجة لنفسك ولا لحد، خصوصًا لو أثبتها قبل كده.

كل جرح على وش «بوي»، هو مجرد توسع في قاعدة بياناته، وما يعيبوش أي جرح فيهم، بالعكس، بتحترمه، لما بتشوفه بتحبه، وبترتاحله، وبتطمنله، عشان مع كل الجروح دي، عينيه باين فيها حاجة جميلة، باين إنه مش عايز حد غيره يتعرض لأي جرح من اللي شافهم. حاجة كده شبيهة بنظرة عادل إمام وهو بيحيي جمهوره في أول أي مسرحية.

لما حد يأذيك، هيصعب عليك، هيصعب عليك فكرة إنه لسه محبوس جوه نفسه ومش قادر يخرج.

مش عايز أقولك ما تصدقش، صدَّق.

مش عايز أقولك خلِّيك متحسب لحالة إن اللي قدامك بيكدب عليك، هتتعب وتبذل طاقة ومجهود كتير إنت أولى بيه.

كل اللي ممكن أقولهولك إني بعد عمر كامل من اللبس في الحيط بسبب إني صدَّقت، هافضل أصدَّق برضه، حتى لو كنت حمار لما صدَّقت!

عشان ربنا بقى بيبعتلي في حياتي اللي يستحقوا إني أصدقهم، بعتلي اللي خلَّاني فوق أي حد ظلمني، بس كان لازم أتعلم!

عشان يمكن هاساعد حد تاني، أو كذا حد.

31#
لما خُفت من الوحدة

في فترة صغيرة الحمد لله، وصلت لقدر لا بأس به من الشهرة في حياتي، وقليلًا ما كنت أعرف أن الشهرة سلاح ذو عضوين ذكريين، هتهرب من واحد فيهم هتلاقي التاني في وشك، حرفيًا.

بس شفت بعيني محدش قالي.

أنا مش إني شايف نفسي مشهور وكده، أو مدِّي لنفسي حجم أكبر من حجمي، لكن باتكلم على الجزء المحدود من الشهرة اللي «تمتعت» بيه، و«تمتعت» دي مبالغة الحقيقة.

بس اللي شفته من الشهرة بقى يا باشا، زي ما هيَّ حلوة ولذوذة وبتخلِّي الناس عارفاك وبتحبك وبتسلم عليك وتتصور معاك، وأحيانًا يدولك حاجات ببلاش، ويساعدوك بدون مقابل، بل في أحيان تتخطى طوابير رمزية كتيرة، زي برضه ما هيَّ بتفتح عليك أبواب جهنم، ودي بقى مش مبالغة.

أول باب فيهم هوَّ إنك مش هتقدر تطلَّع اللي جواك. بمجرد إنك تحولت لشخص معروف وله صورة معينة، إنت بتبقى مضطر إنك تحافظ عليها بغض النظر عن أي شيء.

لما بتبتدي تتعرف شوية، فيه ناس كتير بيحبوك، بس مش عشان شخصك، عشان نسخة موازية منك، حالة مؤقتة منك، مود معين، مش النسخة الـ٢٤ ساعة. عايزينك إنت اللي شافوه وعجبهم، بغض النظر عن حالتك النفسية، والظروف اللي بتمر بيها، بغض النظر عن إنك إنسان! وخصوصًا لو ربنا أنعم عليك بنعمة إنك تقدر تضحَّك الناس، وهيَّ نعمة فعلًا، وكبيرة أوي، بس نعمة تقيلة عشان الناس بيبقى دايمًا عندهم توقعات عنك، راسمين ليك صورة في دماغهم:

«يلَّا ننزل معاه».

«ده أكيد في الخروج هيستيرية ضحك».

«ده أكيد في السفر كريزة ضحك».

«ده أكيد في المشاوير الطويلة كنتلوبة ضحك».

ممكن يكون العادي بتاعك فعلًا إنك شخص ترفيهي للآخرين، بس مش دايمًا، مستحيل، الحياة تقيلة على أي إنسان في الدنيا، وأتقل زيادة شوية لو مُطالب إنك تكون شخص ترفيهي وبتضحَّك الناس طول الوقت!

ممكن تبقى بتمر بوقت صعب، والناس عايزة تنزل معاك، ويلَّا قول حاجات بتضحك.

حاضر، بس اصبروا عليَّ شوية، أنا لسه مطلق الأسبوع اللي فات يا ولاد الجزمة!

إديني وقتي وهافشخك ضحك، هاخلِّيك تطرطر على روحك من الضحك، مش طرطرة كاملة يعني، النقطتين الصغيرين بتوع الضحك والزغزغة دول.

بس أقوم بس، إديني فرصة أنزل وأخرج، لنفسي مش ليك، يمكن أنا اللي عايز أنبسط، مش نازل أبسطك!

ممكن تبقى بتمر بأي حاجة في الدنيا، ومجبر إنك تكون الصورة اللي حبوك عشانها.

ممكن تزعل ناس حتى عشان مخنوق وفضفضت بكلمتين على الإنترنت، عشان مش عايز تتكلم مع حد، أو ناس كتير آذوك في فترة صغيرة فما بقيتش واثق في حد.

الناس جزء كبير منهم عادةً ما بيرحمش، سواء على الإنترنت أو في الحقيقة، لعدم تفهمهم مش أكتر، مش شر فيهم، بس يمكن ظروفهم بتخلِّيهم في مود مش حلو أغلب الوقت، وخصوصًا على الإنترنت، عشان الإنترنت في الأساس ملجأ ومهرب لناس كتير مش مبسوطين!

بتتعامل مع كل الحالات النفسية السوية وغير السوية: نزِّلت صورتك مبسوط، فإنت مبسوط وأنا لأ، ربنا ياخدك! نزِّلت صورتك متضايق، فإيه ده، إنت بتمثل؟ إنت ما ينفعش تبقى متضايق!

الناس على الإنترنت بتعيش على أطراف مشاعرها، وبتحكم على أطراف مشاعر الآخرين، أحكام سطحية جدًّا، قليل أوي اللي هيكون فاهم وإحساسه عالي، قليل أوي اللي هيشوف صورة منزِّلاها مطربة ولَّا فنان ويقول إن يمكن دي لحظة السعادة الوحيدة اللي شافها من فترة وبيحاول يسجلها، أو يمكن بيتظاهر بالسعادة يمكن يصدق تظاهره في الآخر، أو يمكن حتى بيحاول ينشر طاقة إيجابية عشان مش حابب الناس كلها تبقى متضايقة زيه... قليل أوي!

في مرَّة من المرَّات كانت فيه بنت ما أعرفهاش، خارجة مع مجموعة معارف كنت نازل أقابلهم، وكان انطباعها عني اللي حرصت إنها توصلهولي إني باضحَّك، بس مش كتير زي البرنامج. والكلام ده كان في وقت كنت لسه منفصل عن حب كبير، وسايب شغلي ومفلس، وكنت نازل عشاني مش عشان حد، عايز أخرج وأفك عن نفسي، وفي نفس الوقت كبريائي مخلِّياني محافظ على «Balanced upfront» قدام الناس، بس هيَّ بكلامها حسستني إني المفروض أطلع على الترابيزة وأتحزم وأرقص وأرمي إفيهات، أو أفرَّق بيرة وجوبات مثلًا.

فعليًّا في أوقات عملتها برضه إرضاء للبعض، الرقص مش البيرة يعني، جيت على نفسي حرفيًّا عشان الناس، وحرفيًّا رقصت وأنا في عز أزمات شديدة تهد رجال يعني، وكنت اللي هوَّ مبتسم

من بره وبابكي من جوه، من بره بارقص على ألحان مزمار عبد السلام، ومن جوه باعيط على ألحان «أنا باتقطع من جوايا».

يمكن عرفت أطلع المود ده في سكتش في برنامج آخر الليل كان بيتكلم عن الزفة اللي بتقابلك في الطريق وإنت رايح لأبوك في المستشفى.

غير كل ده بقى، في حفلة تانية أصلًا، كل ما تكون معروف كل ما هتقابل حاجات تانية كتيرة، وخصوصًا المخدرات اللي هتلاقيها بتتحدف عليك من كل حتة، وفيه أوقات، سوري يعني، بتتحط في بُقك، أو في المشروب بتاعك كنوع من «السربرايز» اللذيذة، في حين إنها مش لذيذة خالص، مش مفاجأة حلوة إني أروَّح بيتنا الفجر وألاقي نفسي عايز أسمع مزيكا بصوت عالي، وأحضن الكنبة أربع ساعات، وأحاول أبوسها من رقبتها!

إنت متخيل صعوبة إنك تلاقي رقبة الكنبة؟ بس لقيتها برضه، أنا مش سهل يعني!

إني أكون معروف دي نعمة كبيرة باحمد ربنا عليها كل يوم، بس فيه جزء منها فيلم أوفر كده مبالغ فيه، وبتحافظ عليه بس عشان توقعات الناس، عشان دي شغلتك وأكل عيشك، عشان لازم تحافظ على صورتك وتحافظ على الناس اللي بتحبك وبتحب شغلك.

خدت وقت عشان أفهم إن المتفرج ده مش مهم أوي بالنسبة

له، عندك مشاكل عاطفية ولَّا مادية ولَّا فنية ولَّا اجتماعية ولَّا قانونية حتى، هوَّ اشترى صورة معينة وعايزها، ونوعًا ما حقه. وده ممكن يفهمك ليه الفنانين والممثلين والمطربين دول مش دايمًا جزء من المجتمع أوي، مش بيخرجوا كتير، ولا بتشوفهم كتير، مش بتخبط فيهم على طول. ده بسبب إن أغلبهم بيتبع أسلوب اللجوء إلى الوحدة.

بتوصل لمرحلة: خلاص، أنا مش قادر أتعامل مع كل ده، وهاقلل حجم الحاجات اللي محتاج أتعامل معاها، مش عايز أشوف ناس عشان خلاص بقوا عبء، ومش طالبة أي عبوئية بصراحة!

شوية الطاقة اللي عندي يا دوبك أتعامل بيهم مع مشاكلي.

شوية الطاقة اللي معايا يا دوبك يمشوني.

والوحدة بتبقى فرصة هايلة، إن كل حاجة فكرت فيها ولو مرَّة وما حسمتهاش مع نفسك بتقعد تفكر فيها مرارًا وتكرارًا، بتقعد تعيد كل مشهد شكّيت فيه مرَّة واتنين وألف، ومن الزاوية دي ومن الزاوية العكسية ومن كل الزوايا، يعني تقدر تقول كده، الوحدة زي الـ«VAR» في الكورة.

بترجع للفيديو، وتتفرج كده على كل حاجة بالتصوير البطيء، وتقعد تستّف كل حاجة، واحدة واحدة، عشان ما كنتش لاحق، عشان الشغل ساحبك، عشان مسحول في علاقة مش ناجحة، عشان بتحاول ترضي الناس، عشان بتحاول تحافظ على كل

حاجة في نفس الوقت، زي السيرك زمان كده، كان فيه واحد بيطلع بأطباق كتيرة ويلف كل طبق فيها على عصاية رفيعة، وطول الوقت رايح جاي بيلف الأطباق دي عشان تفضل فوق العصاية وما تقعش. هيجيلك مرحلة غصب عنك هتسيب كل الأطباق تقع وتمسك في طبق واحد بس...

إنت، نفسك، عشان إنت ما ينفعش تروح منك!

ده اللي عملته في الوحدة، ركزت في طبقي، وسبت كل الأطباق!

كنت عايز أخسر كل حاجة، ومش فارق معايا أي حاجة، عشان بس أكسب نفسي، عشان أفهم إيه اللي بيحصل.

لو نفسك، عزيزي القارئ، تكون معروف أو مشهور، خلِّيني أرسملك صورة صغيرة:

هتقابل ناس بتحبك حب حقيقي، وحب مصطنع، وحب عشان مصلحة، وحب عشان يتقربوا منك ويعرفوا عنك حاجة مش تمام يحكوها عنك، وحب عشان يعرفوا واحدة تعرفها، أو واحد تعرفه، أو يوصلوا لفنان عن طريقك!

هتقابل ناس بتكرهك بسبب، ومن غير سبب!

هتقابل ستات عايزاك، وستات عايزة تغيظ حد بيك، وستات عايزة تدمرك عشان إنت مش عايزها!

هتقابل رجالة بيحبوك كصديق، ورجالة بيكرهوك بسبب واحدة يعرفوها بتحبك، ورجالة بيكرهوك عشان ناجح، ورجالة

بيكرهوك عشان إنت ألذ واحد في القعدة ومحور الاهتمام، ورجالة بيحاولوا يقولوا عليك أي حاجة وحشة عشان بس يقنعوا الست اللي معاهم إنهم أحسن منك!

هتكتشف إن كل الناس عايزين منك حاجة، مهما طولوا المقدمة اللي قبل الطلب، ومهما كانوا قريبين منك، حتى لو صحابك أوي، حتى لو أهلك!

هتبقى طرف في معارك إنت طرف فيها من غير ما تكون عارف أصلًا!

هتقابل نوعيات بشر غريبة، ونفسيات أغرب!

هتلاقي الناس بتتلم حواليك وبيعشقوك، وفي لحظة هتلاقيهم بيبعدوا عنك وبيرموك! حسب إنت سخن أد إيه في الوسط، حسب إنت نجمك عالي أد إيه في الوقت ده!

فاكر لعبة «فتَّحي يا وردة قفِّلي يا وردة»؟ هوَّ ده بالظبط اللي بيحصل.

نمل ملموم على فتفوتة سكر، وده مش معناه إني بنت محجبة، هوَّ مجرد تشبيه، بس ما أنكرش إني فكرت في الحجاب! المهم إن لما بيخلص السكر، بيخلص النمل.

هتقابل اللي عايز يعلِّيك، واللي عايز يطلع من وراك بأي حاجة، إن شا الله علبة سجاير!

هتشوف الشر بعينيك، وهتقابل الشيطان شخصيًّا، بس لو حظك حلو، هتشوف ربنا بعينيك!

الثابت الوحيد دائمًا وأبدًا، هو ربنا، الله!!

كله بيروح وييجي، ما عدا ربنا!!

في أي وقت، في أي حتة، هتستنجد بيه هتلاقيه، وبيفضل معاك في كل لحظة، مش بيسيبك، إنت اللي بتنسى بس إنه موجود، عشان بتتلهي في حاجة!

ربنا حماني من الناس، ومن نفسي قبل أي حد!

ربناً وحده، حتى لو فيه أشخاص وقفوا جنبي، وهُمَّ كتير أوي ومدين ليهم بالشكر، بس برضه ربنا اللي بعتهم، الحمد لله يعني!

يمكن ده يخلِّيك تفهم ليه ممكن تشوف رابر مخضرم، أغانيه بتتكلم عن الجريمة والمتاجرة في المخدرات، وبتتباهى بالنسوان والبيتشز، لما يكسب جايزة في مهرجان جوائز موسيقية، بيطلع بكل تأثر وشجن يقف قدام المايك وعينيه تذرف دموع، ويشكر جيساس كرايست على وقفته جنبه. أو ممثل أو ممثلة يكسبوا أوسكار عن فيلم تقريبًا إباحي، ويطلعوا يشكروا ربنا ويحكوا عن تجربة «إعادة البعث». غالبًا عشان كانوا هيروحوا بسبب الشهرة، وبسبب اللي الشهرة بتقدمه.

أنا أحب أشكر ربنا، وسيدنا محمد، وجيساس، وكل الأنبياء والرسل والصالحين والأولياء، عشان الحمد لله ما رُحتش!

ما رُحتش أوي يعني.

بس كنت حمار!

33#
لما بطَّلت أحب نفسي

بُص...

فيه أربع مشاعر إنسانية أساسية، مشاعر سامة جدًّا، ممكن تاكلك، تاكل شبابك وعمرك ووقتك، وما تحسش.

فيه أكتر طبعًا، بس حابب أركز على دول.

ما بتاخدش بالك أصلًا إنها موجودة، بتفتكر إن ده الطبيعي بتاعك، بتعيش معاها وإنت غير مُدرك وجودها، كأنك ماشي والسوستة مفتوحة ومش حاسس بتيار الهوا اللي داخل يداعبك، لحد نقطة معينة ممكن توصلها، أو ما توصلهاش، بتشوف فيها نفسك من بره، وبتفهم إن كل واحد منها ليه مصدر.

خلِّينا ناخدها كده بدون ترتيب مقصود.

الغضب

إحساس الغضب ممكن يأثَّر على كل حاجة في حياتك، من علاقاتك القريبة، للبعيدة، للعابرة، لعلاقتك بنفسك، ممكن حتى علاقتك ببتاع الولعة في القهوة، حتى لو هوَّ عِلق وعايز الحرق.

الغضب أول حاجة ما بتبقاش شايفها عشان بيبقى مبرر جدًّا جوه دماغك، عقلك بيقدر يلاقيله تبرير.

مش بتشوف إن الغضب عامل عليك زي غلاف خارجي، سلوفانة كده، بتخلِّيك ولا تحس بحد، ولا تحس بنفسك، وردود أفعالك كلها بتكون مش في حجمها الطبيعي.

الغضب ده ممكن يكون غضب على حاجة حصلت مؤخرًا، أو حاجة حصلت من سنين فاتت، بس عمرك ما واجهتها، أو ممكن حاجة لسه بتحصل، بس إنت بتنكر إنها موجودة.

هيخلِّيك طول الوقت تعبان، ومش لاقي طاقة تعمل أي حاجة، عشان بيستنزفك أول بأول، كل ما تجدد طاقتك يروح ساحبها، زي شبكات المحمول مع الرصيد كده، وهيخلِّيك طول الوقت مقريف، باللمس، مش مستحمل أي حاجة غلط تحصل حواليك، وكأنك شُفت كل حاجة غلط ممكن تستحملها خلاص في حياتك ومعندكش أي استعداد لغلطة جديدة.

هتقدر تعرف الغضب ده موجود جواك ولَّا لأ، لما تبص في

عينين اللي حواليك، اللي بيحبوك، لما يغلطوا، لو لقيت في العينين دي خوف، يبقى إنت شخص غضبان، ومحتاج تراجع نفسك، عشان اللي بيحبوك مش المفروض يبقوا خايفين منك، اللي بيحبوك المفروض يبقوا خايفين عليك.

تأكد إن الغضب ده بيتعارض مع وظيفتك الأساسية في الحياة، إنك تعيش وتحب وتتعاطف مع الآخرين وتعبد ربنا في سلام.

حاول تعرف مصدره، وتتخلص منه!

الخوف

الخوف ده مركب شوية، عشان الخوف ـ وفقًا لعلم النفس ـ بيتكوِّن جواك في أول سبع سنين من عمرك، حسب تربيتك، لو اتعودت في أول سبع سنين من طفولتك تبقى خايف، لأي سبب، هتفضل خايف طول عمرك، ومش من حاجة معينة، خوف في المطلق كده، خوف من العواقب، خوف من المخاطرة، خوف ملتزم بأي قرار صغير أو كبير، خوف حتى من البوتاجاز.

مش بتشوف الخوف وتأثيره عليك، مش بتشوف إنه موريك الدنيا من مجموعة ألوان محدودة، في حين إن بالتة ألوان الدنيا

كبيرة ومليانة ألوان مبهجة. بيخلّيك مبرمج دايمًا إنك تختار الطريق السهل، الطريق الآمن، الطريق اللي بتتفادى فيه أي مواجهات مع الآخرين أو حتى مع نفسك.

لو اتربيت إنك تخاف من أهلك، فإنت هتعيش خايف من الحياة بكل ما تحمله، حتى لو الحياة جايبة صندوق بيرة وطقم مُزز وداخلين عليك البيت.

هتتفنن وتبدع داخل عقلك في إيجاد أسباب تخوفك من أي سيناريو محتمل، حتى لو السيناريو ده في مصلحتك وممكن يغيَّر حياتك، وكأنك تعلم الغيب، ولكن تعلمه سلبيًّا فقط.

لو كان أي حد من والديك عنده الخوف غير المبرر من السخان اللي ممكن ينفجر، والمكواة اللي هتنساها وتولع الدنيا، والتلاجة اللي سلكها هيلمس ويعمل ماس كهربائي، فإنت في الحالة دي ستتوقع دائمًا الأسوأ من الحياة ومن البشر، حتى وإن لم يكن هذا التوقع مبررًا بأي شكل من الأشكال، ولا بربع جنيه تبرير حتى.

لو إنتِ شخصية في يوم من الأيام فيه حد قلل شعورها بقيمة نفسها، وخصوصًا الأهل، هتفضلي دايمًا خايفة، عشان مش هتصدقي أبدًا إن فيه حد ممكن يحبك فعلًا، وهتفضلي خايفة يا إما هيسيبك إمتى، يا إما هوَّ عايز منك إيه.

هيَّ حاجة كده مش ذنبك يعني، بس معلش محتاج تتعامل معاها.

هتقدر تعرف الخوف ده موجود جواك ولَّا لأ، لو فكرت في آخر عشر سفريات وخروجات: هل كنت إنت اللي بتنظمها، ولَّا كنت إنت اللي دايمًا الناس بتتحايل عليك عشان تيجي، لحد آخر لحظة، وغالبًا في آخر لحظة بتفكسلهم؟

غالبًا عشان تعوَّض كل المرَّات اللي بتفكس فيها بسبب الخوف، هتلاقي نفسك من حين لآخر، بتقوم واخد قرار عشوائي غير مدروس، قرار في غاية الـ«spontaneity». ده بيبقى إنت بتعوَّض كل الكبت اللي كبتهولك الخوف، وبتقوم ملبِّس نفسك زي الطُّربُش في قرار غير مدروس، عشان تحس بس إنك جريء، عشان الجريء جواك، بس الخوف اللي مخبيه!

الندم

الندم بقى في الأغلب بيكون بسبب موقف كبير حصل في حياتك، أو ممكن مواقف، اتصرفت فيها بشكل معين، أو حتى ما اتصرفتش أصلًا، ودماغك بتهيألك إنك لو كنت اتصرفت تصرف تاني كان ممكن تحصل نتيجة مختلفة، في حين إنه على أرض الواقع، سواء إنت اتصرفت، فإنت اتصرفت على أقصى حدود علمك في هذا الوقت، وده الطبيعي. عقلك أذكى مما تتخيل وبيتصرف معاك، إنت مش بتتصرف لوحدك، عقلك

الباطن بيساعدك وماشي معاك خطوة بخطوة، ولو فيه أي تصرف تاني ممكن يساعدك كان هيحصل. أو سواء إنت ما اتصرفتش أصلًا، ما خدتش قرار، اخترت إنك ما تعملش حاجة، نمت، فده برضه مش سبب للندم، لأنك لو كنت تقدر تعمل حاجة كنت عملتها، صدَّقني، ممكن أحلفلك على ده.

محتاج تتصالح مع فكرة إنك ما كنتش تقدر في وقتها بس، وده عادي، إحنا بشر.

كده أو كده، لما تعيش كفاية هتكتشف إن حتى تصرفاتك اللي إنت بتعتبرها خطأ، كانت جزء من منظومة الدنيا، فيه حاجات تانية كتيرة اترتبت على تصرفك ده في منظومة إنت جزء منها، سواء بتصرف صح أو غلط، كله في الآخر بيودي في حتة واحدة.

ده نظام ربنا حاطه للدنيا، إنت مش محتاج تلوم نفسك، عشان كده كده فيه ألف حاجة هتركب على تصرفك أيًّا كان.

ممكن تحاسب نفسك، تستغفر ربنا، تتعلم درس إيجابي من الموضوع، عشان يكون عندك سرعة التصرف الصحيح في المرَّة الجاية، وهيَّ كده كده هتحصل، وهتلاقي نفسك فخور بإنك اتصرفت صح، هتحس الدنيا كلها فخورة بيك، هتحس إنك كبرت، واتعلمت!

الإحساس بالذنب

الذنب بقى يا سيدي هوَّ تقريبًا شبه الندم كده، هوَّ تقريبًا كل ما سبق، بس كل الفكرة إنك لما بتيجي تحاسب نفسك، بتشيِّل نفسك فوق طاقتها، بتحاسب نفسك كأنك كنت أعلم وأدرى وأغنى البشر، وأكثرهم نشاطًا وقدرة، وكأنك الشخص الوحيد اللي كان المفروض يتصرف صح، متناسيًا إن فيه ناس تانية على فكرة، حتى لو إنت غلطت يقدروا يصلحوا، أو ينبهوا. بتحاسب نفسك كأنك سوبر هيرو، بس في الحقيقة إنت بشر عادي زينا، بتاكل وبتشرب وبتخش الحمَّام، إنت لسه شادد السيفون من شوية يا معلم! مفيش سوبر هيرو بيشُخ على فكرة، أو على الأقل المشاهد دي اتحذفت من الأفلام اللي شُفناها! ما شُفتش أنا باتمان واقف على مبولة، وبيقول آه بحرقة علامة على احتباس بولي بقاله فترة طويلة! ما شُفتش سوبر مان وهوَّ قاعد على تواليت وبيدوَّر على مناديل عشان يمسح... أحزانه.

حاسب نفسك على إنك بشر، تقبَّل فكرة إن البشر بيغلطوا، ومش بس كده، ومش مطالبين إنهم يعملوا كل حاجة صح طول الوقت. ده اللي اسمه تحميل نفسك فوق طاقتها.

تقبَّل إنك بشر عادي، بيشُخ، وهتلاقي عندك حاجات تانية في حياتك محتاج تشد عليها السيفون.

إنت مش مسؤول عن الدنيا، إنت بالعافية مسؤول عن نفسك!

أحد الأصدقاء كان دايمًا يقولي إنت أغبى إنسان ذكي في الدنيا. وكان معاه حق، أنا فعلًا ذكي، بس ما كنتش موجود دايمًا، فيه أوقات كتيرة كنت غايب، ما جيتش، دماغي كانت دايمًا بتحلل حاجات مش قادر أفهمها، في حين إنها كانت بسيطة جدًّا، عشان مش قادر أحب نفسي، لو كنت باحبني في ساعتها، كنت فهمت كل حاجة، كنت فهمت أد إيه فيه مشاعر مسيطرة عليَّ ومانعاني من إني أعيش حياة طبيعية.

الموضوع خد سنين وتفكير ووحدة وعوامل خارجية وعوامل داخلية، رحلة بنت لذينا، تعبت فيها، بس دلوقتِ الحمد لله أقدر أقول إني باحب نفسي، باحب إيه، دا أنا باموت في نفسي، دا أنا عسل، يخرب بيت جمالي، دا أنا راجل أنا ذات نفسي أستمناه (بصوت عبد الفتاح القصري).

بعد رحلات طويلة من محاولات الوصول لربنا، ولنفسي في أغلب الوقت، فهمت حاجة مهمة أوي أوي بالنسبة ليَّ كرؤيتي الشخصية للدنيا، مريحاني جدًّا ومنطقية جدًّا: الدنيا عبارة عن «Input/output Point System»، نظام برصيد زي أي نظام بتتعامل بيه في حياتك، زي رصيدك في البنك أو على الموبايل، زي رصيدك في لعبة أونلاين، شايفكو يا بتوع «PUBG»، زي حتى رصيد جمايلك عند واحد صاحبك. هتفضل تسحب هيخلص، هتفضل تشحن هيتحمِّل أي سحب ممكن تعمله، حتى لو سحب كبير.

إنت بتنزل الدنيا معاك رصيد أساسي، والخصم منه بيكون بنسبة بسيطة في البداية.

غلطت؟ هيتخصم منك نقطة واحدة.

عملت حاجة كويسة؟ هيتضافلك عشر نقط في رصيدك.

كل ما بتكبر، كل ما نسبة الخصم بتزيد.

كل ما بتعمل خير، كل ما رصيدك بيزيد.

فكرة إن ربنا نفسه يقول أكتر من مرَّة إن اللي بيعمل خير بيعمله لنفسه، بتشرح مبدأ إن نظام الدنيا يسمحلك تغلط، ويسمحلك تجدد نقاطك بكل بساطة وتمحو الغلط ده.

إنت في الآخر بتتحاسب على ميزان فيه كل حاجة، ودي على عكس فكرة السلفية اللي بتحاول تخوفك منه، ده نظام مفيد جدًّا ومُطمئن جدًّا.

كل اللي محتاج تعمله إنك تزود نقاط.

اغلط زي ما تغلط، بس اعمل خير أده الناحية التانية: ساعد يتيم، انقذ روح مش قادرة تتكلم وتستنجد بحد، ابتسم في وش الناس حتى.

جمِّع نقط على أد ما تقدر، عشان لما تغلط يبقى عندك رصيد كفاية يطمِّنك، بس مش أكتر.

حِب نفسك، يعني ارحم نفسك، اتمنى الخير لنفسك، سامح نفسك، انصح نفسك، دلِّع نفسك، خد بالك من صحة نفسك، جسم نفسك، أكل نفسك، شرب نفسك، هات هدية

غالية لنفسك، انزل الساعة ٣ بالليل فسَّح نفسك، حوِّش وسفَّر نفسك، اهتم بشكل نفسك، العب في نفسك عادي براحتك لو علاقتكو تسمح يعني، عارفها الحاجات دي؟ الحاجات اللي بتعملها لأي حد غير نفسك دي! اعملها لنفسك بقى، عشان إنت تستاهل، إنت مش وِحش زي ما إنت شايف نفسك، إنت مجرد بشر، بيشُخ، زينا كلنا!

35#

لما افتكرت إني حبِّيت مرَّة واحدة

أقدر أقولك بكل ثقة إن فاقد الشيء مفيش حد في الدنيا هيعطيه زيه.

فاقد الشيء ده برنس الشيء.

أعتقد إن فاقد الشيء ده يمكن يكون ربنا حطه في الدنيا، عشان يعوض نقص هذا الشيء لحد معين.

ما أقدرش أقولك إني اتولدت في بيت فيه حب بأي شكل من الأشكال.

اتولدت في بيت أحسن وصف ليه إنه... صعب. ما كانش البيت الطبيعي اللي لما حد بيعمل حاجة حلوة بنسقفله، ولا البيت اللي بنبوس ونحضن بعض قبل ما ننزل، ولا بنقعد كلنا نهزر ونضحك، للأسف لأ!

كانت فيه محاولات، كانت فيه كام مرَّة، بس ما كانش ده

العادي، أو يعني الكام محاولة دول راحوا مع الوقت، ومع اللي راحوا!

يمكن كنت أنا غالبًا مصدر أغلب الحب في أغلب الوقت، كنت باحب أبويا. وأنا طفل، كان لما يرجع من السفر أجري عليه وأتشعبط فيه، باحب أمي وإخواتي، باحاول أخلّي البيت مليان حب.

كنت باتفرج دايمًا على الأفلام وأنا طفل، سواء عائلية أو علاقاتية، وباحاول أتعلم منها الحب، وباحاول أطبقه في البيت، «Learning by watching».

يمكن طول عمري كنت فاكر إن أبويا هوَّ السبب في فقدان المشاعر الجميلة دي من البيت، بسبب قسوة أو عنف أو غياب مثلًا، بس دلوقتِ وأنا بافكر، افتكرت أد إيه أبويا كان بيدوَّر على الحب، بطرق كتيرة أوي مش حابب أتكلم فيها أوي، بس يعني لو هاحكي حاجة، ففيه حاجة أذكرها جيدًا...

جواب لقيته مرَّة في شنطة أبويا، كان خدني معاه الشغل وراح مأمورية، وأنا قعدت طبعًا كأي طفل أتييت في حاجته كلها، بيكوز واي نوت، عايز أكتشف حاجات جديدة في الدنيا وكده، فلقيت الجواب ده من أبويا لواحدة، مش أمي طبعًا، وكان بيحبها أوي، وبيحكيلها عن أد إيه هوَّ محتاج حب. حاسس بالنقص، عايز يبقى معاها عشان يحس بالاكتمال! وهيَّ كانت بتحبه، وبتبعتله شرايط كاسيت مسجِّلاها بصوتها، وسمعت شريط منها وأنا قاعد في الشغل عند أبويا برضه.

طفل عنده ٧ سنين مشغَّل شريط كاسيت لواحدة بتحب أبوه، وصوتها مليان عشق ولهفة غير مفهومين تمامًا بالنسبة ليَّ! وللأسف وقتها، كان فيه عساكر في وحدة أبويا اللي كنت معاه فيها، وهوَّ زي ما قلت كان بره في مأمورية، وكنت أنا قاعد في أوضته ومشغَّل الشريط بصوت عالي، فالعساكر طبعًا كانوا بيسمعوا صوت واحدة بتتكلم معايا في الأوضة، يقوموا جايين جري يخبطوا عليَّ يتطمنوا، أقوم طافي الكاسيت، يدخلوا، يلاقوني قاعد لوحدي، فيسألوني:

ـ هوَّ فيه حد هنا معاك يا هشام؟!

أقولهم بخوف طبعًا:

ـ لأ، أنا لوحدي!

يقولولي:

ـ طب إحنا سمعنا حد بيتكلم!

أقولهم بكل إنكار طفولي:

ـ لأ، أنا ما سمعتش حاجة!

يلفوا بعيونهم في الأوضة سريعًا في نظرة ماسحة للمكان، ويروحوا فافلين الباب بتردد وماشيين، أروح أنا مشغل الكاسيت تاني، فيرجعوا تاني، وهكذا، فضلنا كده بتاع تسع مرَّات مثلًا، وأنا شبه متأكد إن العساكر دول لحد النهارده عندهم يقين تام إني كنت ملبوس، وغالبًا أثرت على نفسيتهم جدًّا! عاشوا فيلم رعب معايا الحقيقة، وفي أوائل التسعينيات كمان قبل ما الوعي

الإنساني والإدراك يتطور! والحقيقة حابب أطمنهم وأقولهم إني ما كنتش ملبوس ولا حاجة، ودي كانت واحدة بتحب أبويا على شريط كاسيت مش أكتر!

المهم إن بعد السفرية دي لما رجعت مع أبويا لبيتنا، بقيت بابص لأمي بنظرة مختلفة، مركز معاها أكتر، باراقبها وباشوفها: هل هيَّ بتتصرف زي الست اللي سمعتها على شريط الكاسيت دي ولَّا لأ؟

طبعًا أمي كانت وقتها أم لتلات أطفال، وبتشتغل، وبتشارك في مصروف البيت، وقاعدة أغلب الوقت لوحدها في البيت بتربي العيال بسبب طبيعة عمل زوجها، ست شقيانة يعني من الآخر، وغير قادرة على إعطاء الحب، ولا عندها وقت لنفسها ولا لينا، يا دوبك ترجع من الشغل تطبخ وتغسل وتذاكر للعيال وتلحق تنام شوية، بطلة كادحة ما بتعملش حاجة لنفسها، حاجة كده شبه «العيال كبرت»، بس الفرق إن حياتنا ما كانتش بتضحك أوي زي المسرحية، اللي دلوقتِ شايفها من أكتر المسرحيات عبقرية.

أنا طبعًا ما كنتش شايف ده وقتها، أنا كنت طفل، كل اللي كنت شايفه إن أمي مش بتحب أبويا زي الست اللي على شريط الكاسيت، وأعتقد إن ده أثر عليَّ.

ما أقدرش أقول إني حبيت واحدة بس، أبقى راجل كداب، وباضحك على نفسي قبل ما أكون باضحك عليكو!

أنا حبيت كتير، عشان لسبب ما اتربيت على إني باحب الحب نفسه، باحب سعادة الحب، وفرحة الحب، وإحساس الحب.

الحاجة الوحيدة اللي ما كنتش لاقيها في بيتي ولا في حياتي وأنا باكبر.

آه، ممكن أكون حبيت كتير، بس كل واحدة فيهم حبيتها بجد، حبيتها حب حقيقي، وإديتها روحي كاملة وخالصة، واهتمامي التام وإخلاصي، ما عدا مرَّة واحدة عشان أبقى صادق تمامًا!

انفصال أمي عن أبويا كان شبه دائم، ورجوعهم كان دائمًا متقطع، آخر انفصال حقيقي لا رجعة فيه كان في آخر مرَّة ضربني فيها في أولى جامعة، والموضوع تطور لدرجة إني كنت أنا شخصيًا هاضربه، وأهلي تدخلوا والجيران وكانوا حرفيًا بيشيلوني من عليه، كنت حاسس إني باخد منه حق السنين اللي فاتت كلها، حقي وحق أمي وإخواتي!

بعد الانفصال ده، أمي فضلت في عينيَّ ضحية، صورة مش لذيذة تفضل شايف أمك بيها الحقيقة، عشان بتحس بالذنب والمسؤولية، وبيفضلوا على كتافك في أي وقت، في أي حتة.

ضحية أهلها، اللي رفضوا جوازها من حب حياتها، وجوزوها لأبويا.

ضحية أهلها، اللي رفضوا انفصالها عنه بعد أول مرَّة ضربها، وبعد كل مرَّة غيرها.

ضحية شغلها، اللي كان بيحلبها، ويديها ملاليم.

ضحية ولادها حتى، اللي كانوا دايمًا محتاجينها سواء في جوازها أو في انفصالها، وحتى بعد ما كبروا.

للعلم، أمي انفصلت عن أبويا وما اتجوزتش حد تاني، ولا فكرت حتى.

كانت دايمًا شايلة المسؤولية، ولما عزِّلنا وبقينا ساكنين مع جدتي وجدي في نفس العمارة، بقت شايلة مسؤوليتهم وهُمَّ كبار في السن، وبتخدمهم، بالإضافة لشغلها ولولادها.

بعد وفاة أخوها، شالت مسؤولية ولاده، وبقت بتشتغل أكتر عشان تسندهم، زائد أفراد تانيين كتير في العيلة برضه كانت بتدعمهم بشكل أو بآخر.

إنت متخيل إني كل ده باتكلم على واحدة ست؟

متخيل يا مان؟

أعتقد إن ده برضه، أثر عليَّ! بأشكال كتيرة جدًّا، منها إني عشت أغلب عمري مع أمي، فاتعودت إني أكون ضحية زيها لسبب ما، اتطبعت بيها، ده كان الوضع الطبيعي بالنسبة ليَّ.

كان بشكل أو بآخر عادي إني أسيب حد يظلمني، وما أخدش حقي منه، عشان شايف ده قدامي طول الوقت!

بتفرق جدًّا للطفل أو الشاب، إن يكون في حياته فيه مثل أعلى قوي، يستمد منه قوة لشخصيته. مهم جدًّا لأي طفل إنه يشوف القيم اللي تخلِّيه يقدر يعيش ويحارب في الحياة، في أقرب الناس إليه... أهله.

ده جزء.

الجزء التاني يمكن إحساسي بالذنب تجاه أمي، خلَّاني دايمًا،

أو يعني، دايمًا لحد الكتاب ده، باختار نوع ست معين ومحدد أوي أحبه، وأحاول أبدأ معاه علاقة جادة.

النوع ده كان عبارة عن: مُطلَّقة، معاها ولاد، بتشتغل، وغالبًا جوزها كان بيأذيها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بسم الله ما شاء الله يعني، كل مرَّة كنت بافشل، فشلًا ذريعًا!

ما كانش بينفع!

وبعد سنين طويلة من البحث داخل الذات، وخارج الذات، وورا الغسالة، وتحت شلتة الكنبة، وفي جيب البنطلون الكحلي، اكتشفت أخيرًا سبب مهم أوي لاختياري المميز ده، ألا وهو: إني باحاول أنقذ أمي، في كل الستات اللي باحبها.

كانت لحظة تقيلة أوي، لحظة إدراك ووعي مش سهلة خالص وغريبة، والأغرب منها إنك تكتشف إن اختيارك كل مرَّة ما كانش مبني على إحساس قلبك، ولا تفكير عقلك، ولا عينيك حتى.

كل دول كانوا عطلانين!

كان مبني بكل بساطة، على طفولتك، اللي إنت شفته، واتربيت عليه، وأثَّر فيك، وبتحاول تغيره.

أنا حبيت كل أمي شفتها في واحدة تانية.

حب عمرهم ما كانوا هيقدروا يفهموه، وفعليًّا عمرهم ما فهموه، عشان أنا نفسي ما كنتش فاهمه، ولا عندي أدنى فكرة.

في نفس الوقت حبيت كل واحدة تانية حسيت إني لو كنت شخص طبيعي وقت ما قابلتها، وفاهم الكلام المكتوب فوق ده، كانت هتبقى أحلى حاجة في حياتي، وكانوا فعلًا، بس ما كنتش قادر أشوف.

الشخص الوحيد اللي ما عرفتش أحبه كان... نفسي.

مش مركز مع نفسي، مش مهتم بنفسي أصلًا، نفسي مين يا معلم، أنا عندي قضية، هدف، تارجت.

كنت بابص لأي واحدة فيهم بنظرة واحدة: إنتِ لازم أنقذك، حتى لو إنتِ مش صح ليَّ وأنا مش صح ليكِ، حتى لو هاخسر واحدة تنفعني بجد، حتى لو هاخسر مستقبلي وحياتي كلها! إنتِ محتاجة أساعدك، وهيَّ طبعًا مش فاهمة، ومش حاسة إنها محتاجة مساعدة، ومستغربة ماله الجحش ده عايز ينقذني من إيه، ما أنا حلوة وزي الفل أهو (بصوت علاء ولي الدين).

مفيش واحدة فيهم للأسف فهمت إني كنت باحبها حب فوق الوصف، وأكبر من أي حب في الدنيا!

عشان من خلالها، كنت باحب أمي! وده أعظم حب في الدنيا، حقيقي يعني!

أنا فعلًا باحبك يا مديحة (اللي هيَّ أمي يعني) حب ضيعت فيه سنين باحاول أنقذك، عشان اتوجعت لما شُفتك بتتوجعي، وبقى هدفي في الحياة أنقذ أي واحدة شبهك!

دلوقتِ، بعد ما فهمت، وتصالحت مع الموضوع ده، عايز أقولك إني آسف إني ما كنتش عارف أفرَّحك بيَّ عشان كنت باحاول أساعدك بطريقة غير مباشرة!

أعتقد إني دلوقتِ لما فهمت، أقدر أحب بجد، حب ينفعني، ويريحني، ويخلِّيني لأول مرَّة من ٣٤ سنة يا أمي، أبقى مبسوط وسعيد في حياتي مع الشخص المناسب ليَّ.

أتمنى إنك تشوفي ده بشكل إني فعلًا ما قصرتش معاكِ، ويخلِّيكِ تفهمي أنا باحبك أد إيه، وما تزعليش مني، وسامحيني على كل يوم شقا شُفتيه في حياتك! عشان لسبب ما حاسس إني مسؤول، وكان لازم أحميكِ، بس كنت طفل، وكنت بانضرب أنا كمان، بس دلوقتِ الحمد لله بمجهودك بقيت راجل أهو، وأقدر أحميكِ بجد!

أحميكِ إيه؟! دا أنا أفرم اللي ييجي جنبك فرم!!

إهداء إلى كل اللي حبيتهم غلط، وكل اللي حبوني صح.

آسف إني كنت حمار، بس آديكو شايفين يعني، ما كانش قصدي والله!

37#
لما فقدت الأمل

أنا شخصٌ بيحب البوس، باقدَّره حقيقي، له مكانة خاصة في قلبي. وكشخص بيحب البوس، مكان البوسة دايمًا بيفرق معايا، ومش قصدي المكان مكان في جسم البنت يعني، قصدي موقع البوسة الجغرافي، الإحداثيات.

الحمد لله، حياتي مليانة بوس في أماكن مميزة.

يعني مثلًا، أكتر بوسة مميزة في حياتي كانت لما بوست صاحبتي الروسية داخل غرفة مقبرة الملك خوفو في الهرم الأكبر، بوسة مستحيل أنساها، ومستوى الأكسجين كان ضعيف فده أثَّر على مخنا، وزوِّد استمتاعنا بيها بطريقة لا يمكن تصورها. دي كانت بوسة للتاريخ، حرفيًّا، التاريخ كان مدفون جنبنا وقاعد بيتفرج.

بوسة تانية كانت من أكثر البوس سينمائية وأحلاه، بوسة

صاحبتي الأمريكية في محطة مترو أنفاق نيويورك، باحب أسميها «بوسة الـD Train». كانت بوسة قدام الناس كلها بدون ذرة خوف أو خجل، أكتر بوسة متحررة في حياتي، والكادر فعلًا كان جميل، كنا اتنين بيحبوا بعض وبيبوسوا بعض بكل حرية، والمتروهات تعدي من جنبنا وشعرنا إحنا الاتنين يطير من اندفاع الهوا (معلش كان شعري طويل وقتها).

مشكلتي إني ما باعرفش أنسى البوسة المميزة، أي حاجة مميزة بصفة عامة، بس البوسة بصفة خاصة! زي البوسة في شوارع لندن، البوسة تحت برج إيفل في باريس، هوَّ عامة أي بوسة في باريس إن شا الله في باركينج كارفور هناك، باريس فيها حاجة بتخلِّي البوس تلقائي وحلو ونضيف ومريح نفسيًّا، هيَّ حتى اسمها «فرنش كيس»، يعني بلد المنشأ. البوسة في تلفريك بيروت قصة، وعلى جبل بيروت متعة، والبوسة في زيوريخ في الشتا عظيمة، المهم بس محدش فيكو تكون مناخيره سايبة عشان هتبقى مأساة، البوسة على بحر نويبع في ليلة كلها نجوم مزيكا، والبوسة جوه بحر نويبع نفسه دي حاجة تانية خالص، خالص يعني، مش ممكن، مش ممكن، مش ممكن (بصوت مدحت شلبي). دايمًا هيكون ليكو ارتباط خاص بيها مهما افترقتوا.

بس مش كل البوس حلو! البوسة في الطيارة مثلًا دي حاجة قذرة جدًّا لأسباب كتيرة أوي، أولها إن الهوا متفلتر ومتعاد توزيعه، وفيه ريحة غازات طول الوقت، بسبب الحمَّام، أو

ريحة الأكل وهوَّ بيتسخن اللي أصلًا ريحته شبه الغازات، أنا كل مرَّة باركب طيارة باتلخبط بين اللحظات اللي باب الحمَّام بيفتح فيها ولما بيسخنوا الأكل، الاتنين عندي متشابهين تمامًا!

آسف إني فصلتكوا، الموضوع كان معصبني بس. خلِّيني أرجع للبوس المميز، وسامعكو وإنتو بتقولوا: «بوس إيه وخرا إيه بقى خلاص»، بس معلش.

على الرغم من كل الأماكن دي، فيه أماكن عادية للبوس، بس مهما حصل هتفضل هيَّ الأساس في التميز البوسي...

الأسانسير الفاضي مع واحدة لسه مش محدد معاها شكل علاقة، ولسه بتستكشفوا بعض، وتحصل لوحدها، دي بوسة مميزة.

لما تفتح الباب وتلاقيها قدامك، وتدخَّلها وتقفل الباب، ولسه بتقولها إنك مبسوط إنها جت، تبوسك بوسة واحدة إنت واحشها ومش قادرة تستنى، دي برضه بوسة في قمة التميز.

يمكن أحلاها بالنسبة ليَّ، وأكثرها تميزًا، هيَّ البوسة اللي بتتخطف في وسط خناقة ووسط كلام كتير، وحد فيكو شايف إن الكلام خلاص ما بقاش مفيد، هيَّ البوسة اللي هتحل كل حاجة.

عامة، أول بوسة دي بتقول كل حاجة، وما بتتنسيش، عشان كده عمرو دياب بيقول في الأغنية «كنتِ أول كل حاجة»، أول كل حاجة دي كلمة كبيرة جدًّا لو تعلمون.

في ثانوية عامة كنت باحب بنت جميلة أوي من المعادي،

وهيَّ كانت بتحبني أكتر، ومستعدة تعمل أي حاجة علشاني، هيَّ قالتهالي. كنا بنحب بعض لدرجة إننا مش قادرين نبطل نلمس بعض، ميكس حب على هرمونات لذيذ وخطر، وكنا بنحاول نبوس بعض دايمًا في المكان اللي بنخرج فيه على طول، جراند كافيه المعادي، وطبعًا فشلنا، عشان طبعًا إحنا كنا في جراند كافيه المعادي، مكان عام فشخ، موضوع بديهي يعني. وعمرنا ما بوسنا بعض للأسف!

أول بوسة حقيقية ليَّ كانت في سنتر تعليمي في أول سنة جامعة، كنت باحب بنت جميلة بناخد مع بعض كورس في السنتر ده، كنت باحبها وهيَّ كانت بتحبني، في يوم من الأيام كنا بنراجع بعض المواد المتعلقة بالكورس مع المعيد بتاع المادة في مكتبه بعد ساعات المحاضرات الرسمية، خلصنا مراجعة، وخرجنا من الأوضة، لقينا نفسنا في السنتر لوحدنا، وكأن الكون والسنتر والسيكيوريتي كانوا كلهم مجتمعين على إننا نبوس بعض، أو ممكن حتى كان عندهم طموح أكبر من كده، بس كنت أخاف أقلع في السنتر بصراحة، المهم يعني، أول ما أدركت ده بصيتلها، لقيتها بتبصلي، رُحت شاددها من دراعها على كلاس مفتوح، وقعدنا نبوس بعض حوالي رُبع ساعة!

ما كانتش بتعرف تبوس للأسف! كانت ضامة شفايفها وسايباهملي كده كأنهم رف في الحمَّام، أعلق عليهم الفوط، أبوسهم، أخبط كوعي زي مصارعين الـ«WWF» وأنزل عليهم

سوبر سوفليكس، هيَّ ما كانش فارق معاها، هيَّ خدت الوضع وسابتني أنطلق!

أنا قعدت أحاول بكل ما أوتيت من قوة إني أفتح بُقها عشان البوسة تبقى زي بوسات الأفلام، وهيَّ مفيش، تمساح قاعد قدامي! كانت بتبوس زي عماد حمدي في الأفلام الأبيض وإسود، لما بيثبتوا شفايفهم على شفايف بعض كده بدون هدف أو حركة، لحد ما ييجي الحكم ينزل جنبهم يعد تلات عدَّات وتخلص.

أنا بقى كنت باحاول أحاكي كل خبرتي السينمائية في البوس، وأقلِّد كل العظماء: «وارين بيتي»، و«بول هينريد»، و«ليوناردو ديكابريو» حتى في «تايتانيك»، وفشلت معاها عشان ما لقيتش استجابة، لو كنت بابوس درفة دولاب كانت فتحت معايا!

الموضوع ده ما وقفنيش، بعد البوسة دي بقينا بنبوس بعض كل ما بنلاقي فرصة، لو ما كانش فيه فرصة كنت باخلق فرصة، حتى في مكتبة السنتر، كنا نخش ندوَّر على كتب في آخر المكتبة خالص ناحية الكتب اللي صحابها نفسهم ما قروهاش، ونقعد نسرح في شفايف بعض، ونخلص ونرجع كل واحد بكتاب ملوش لازمة، هيَّ معاها كتاب عن بدايات الكمبيوتر في الخمسينيات، وأنا معايا كتاب عن الكسور ـ لا مؤاخذة ـ العشرية.

كنت باحبها أوي وعايز أتجوزها، في نفس الوقت اللي كنت باحب فيه بنت سمرا جميلة ومحترمة وعايز أتجوزها برضه، بس

دي كانت ضد البوس، فكنت أحب دي، وأبوس دي، أكلم دي في التلفون، وأمسك إيد دي!

عيِّل صغير معلش!

كل ده خلَّاني أكتشف أد إيه أنا باحب الحب، ولما العلاقتين دول انهاروا، حسيت إني ما أقدرش أعيش من غير حب!

فتحت على نفسي أبواب الحب، وما قدرتش أقفلها، وكنت باهرب من علاقة لعلاقة، ومن بنت لبنت!

بدأت هنا رحلة «ارسيلك على قارة» (بصوت فؤاد المهندس).

حبِّيت الأمريكية والإيطالية والكويتية واللبنانية والفرنسية والمغربية والهولندية والأمريكية تاني وتالت، والإنجليزية والسعودية والكورية والماليزية والروسية والمجرية والأسترالية والمكسيكية والأردنية والتونسية والمغربية والفرنسية تاني، والمسيحية واليهودية والبوذية والملحدة بجد والملحدة ترويش.

كنت ماشي باقلِّب الطوب وأبص تحتيه، حب حياتي هنا؟ لأ؟ تمام.

فضلت أحب على نفسي، وكل واحدة أقابلها أفتكرها حب حياتي، لحد ما أفوق من سكرة انبهاري بيها، وأكتشف إنه ما ينفعش، ما ينفعش.

كنت باحب على طول، وبسرعة تكاد تفوق سرعة الصوت، كنت باحب أسرع من محمد صلاح ما بيجري.

كنت على طول باحب من أول نظرة.

كنت باحب أول كل حاجة.

باحب أول لمسة إيد، والكهربا بتاعة أول لمسة إيد، وأول بوسة، ولحظة انهيارنا في أول حضن لينا لبعض.

باحب اللحظة اللي بتبقى عينينا اتفقت خلاص هنعمل إيه دلوقتِ من غير ما نقول.

باحب نظرات عينين الست وهيَّ بتقول أنا دلوقتِ هابقى واحدة تانية، بتاعتك بس.

باعشق فكرة إنك تصحى من النوم تلاقي جنبك حد بتحبه، فرحان إنه جنبك وفرحان بيك.

باحب كل ده من زمان، وباحبه مع شخص باحبه ومرتبط بيه، الحاجات دي ملهاش لازمة مع حد ما تعرفوش، آه والله، ملهاش طعم.

جربت كتير، أكتر مما ينبغي.

الموضوع أخد مني عدد مهول من العلاقات علشان أكتشف نفسي من خلالها، وأعرف أنا باحب إيه وما باحبش إيه، نفسي في إيه، محتاج إيه بصفة دائمة ومحتاج إيه أحيانًا، إيه الحاجات اللي لا يمكن أقبل بيها، وإيه الحاجات اللي ممكن أعديها، إيه الحاجات الأساسية، وإيه الحاجات اللي مش فارقة أوي.

عايزها إيه؟ ذكية، ولَّا غبية؟ علمية، ولَّا أدبية، ولَّا ميكس؟

عايزها فنانة في نفسها، ولَّا شخصية عملية بحتة؟

عايزة جريئة، ولَّا وش كسوف؟

عايزها سافلة، ولَّا مؤدبة وأنا اللي أعلمها كل حاجة؟

عايزها لِعبيَّة، ولَّا هادية؟

عايزها متدينة، ولَّا كافرة، ولَّا بتصلي ساعات؟ ولَّا بتحب الزبادي؟ ولَّا بتحشش؟ ولَّا بتشرب ميرلوت مع اللحمة وشاردونيه مع السمك؟

بتسافر لوحدها، ولَّا مستقلة، ولَّا معتمدة عليك؟

دلوعة، ولَّا مسترجلة؟

بتحب الانتباه، ولَّا بتتفاداه؟

مليون سؤال، اختيار شخص تحبه وتعيش معاه ده مش سهل، مش سلق بيض زي ما بيحصل عندنا، مش يلَّا نيش وسفرة وطقم خشاف وادخلوا نطوا على بعض وهاتوا طفل تاني مش فاهم نفسه للعالم!

لو إنت لسه ما ارتبطتش اسأل نفسك برضه الأسئلة دي، عشان إجابات الأسئلة دي كلها حاجة واحدة: إنت إيه؟

إنت!

لو عرفت إنت إيه، هتعرف إنت عايز إيه، إنت إجابة كل الأسئلة!

لما تبقى إنت عارف إيه، هوَّ هيجيلك لوحده، رحلة طويلة متعبة بس آخرها حلو.

لك كامل الحرية تصدَّقني أو ما تصدقنيش، كل مرَّة من دول كان بيبقى نفسي تبقى هيَّ، تبقى دي، وتبقى كل حاجة باتمناها،

وعمره ما كان بيحصل، نيفار إيفار إيفار، حتى في أكثر العلاقات جدية في حياتي، والسبب الرئيسي دائمًا وأبدًا، إني كنت باحبهم على مستوى في قمة السطحية، منجذب لمميزات بسيطة في الشخصية مع شكل أو جسم، وفاكر مشاعري دي حب، بالتالي كنت مع الوقت بابتدي أكتشف كل شوية حاجة ما باحبهاش في البنت اللي قدامي، كل يوم، كل أسبوع، وفي بعض الأحيان كل عشر دقايق.

عمري ما كنت باعرفهم كويس، عمري ما خدت الوقت الكافي إني أكتشف خفة الدم والوش الجميل والجسم الأجمل دول بيحملوا في طياتهم روح عاملة إزاي، وهل إحنا متوافقين فكريًا ولَّا لأ!

كنت باخد منهم مميزات بسيطة، وأكمِّل أنا حب من عندي، عشان كان عندي فائض من الحب مش عارف أوديه فين، وأفتكر إنه هيخلِّيني أستحمل، بس عمره ما بيكون كفاية، صدَّقني في دي.

لحد ما قابلت الإنسانة العظيمة اللي في حياتي، اللي أقدر أقول عليها «حب حياتي» باقتناع، واللي أنا متأكد إني قابلتها قبل كده، حتى لو في حياة أخرى، الإنسانة الوحيدة اللي ممكن أقولها: «You are the love of all of my lives».

أحد أصدقائي الراحلين الله يرحمه، كان قالي في مرَّة إن الموضوع كله بيتلخص في: «هل دي تنفع أم لأولادك ولَّا لأ؟»،

وكنت لما بافتكر جملته دي باقف في وسط العلاقة، وأقيِّم الأنثى اللي قدامي من أول وجديد، وأغلبهم كانوا بيفشلوا!

مفيش شك إنه الله يرحمه كان عنده حق، بس إلى حد ما، عشان الموضوع مش كله «أم العيال»!

الحياة أكبر من أم العيال، وأكبر من الانجذاب، والكيميا والفيزيا ومنهج علمي رياضة كله.

الموضوع في حاجة واحدة بس، ربنا سبحانه وتعالى قال: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا».

حسيت معاها بالسكون، وهيَّ كلمة عظيمة أوي، هيَّ اتصال دائم، عاطفي وفكري وجسدي، وارتياح!

حسيت إن روحي ارتاحت وهديت في وجودها.

حسيت باتزان نفسي وعقلي وعاطفي.

حسيت إن ممكن روحين يتقابلوا، ولقاؤهم ده يبقى نقطة الهدوء في مشوارهم.

حسيت إني متطمن معاها زي ما هيَّ متطمنة معايا.

حسيت بتكافؤ، ولا مادي ولا اجتماعي ولا الهبل ده، تكافؤ اتنين بني آدمين.

حسيت إني كنت باجري كتير أوي، ومش محتاج أجري تاني خلاص.

حبيت كل تفصيلة فيها، من شعرها لصباع رجلها، حب مش إعجاب.

حبيتها زي ما هيَّ، من غير ما أبقى عايز أغيَّر حاجة.
حبيت فكرة إنها موجودة في الدنيا، حتى لو هيَّ مش معايا.
حبيتها بدون أي صوت في دماغي بيحاول يقولي لأ.
حبيتها عشان هيَّ كانت حلم في دماغي بقالي سنين باجري جري الوحوش عشان أوصله.
بالنسبة ليَّ، هيَّ هدية من ربنا، وإثبات لوجوده في الدنيا.
هيَّ مش حب عمري، هيَّ عمري نفسه!
أنا كنت حمار لما فقدت الأمل!
عشان يؤسفني أقولك إن فيه أمل، فيه فعلًا، بس تمنه غالي، الأمل عزيز أوي!
إنك تلاقي لحظة سكون في وسط الدنيا دي بصراعاتها بألمها، دي نعمة عظيمة، احمد ربنا واشكره عليها!
أدعو ربنا الملك يرزقكم كلكم بيها!

39#
لما افتكرت إن مفيش حُب

لما بتتوالى عليك الصدمات بيتكون عندك نوع من أنواع الغشاوة على عينيك وبصيرتك ونظرتك للحياة، بتكون بمثابة كوندوم رمزي يمنعك من الإحساس الحقيقي بالدنيا، وألوانها ومشاعرها، ورؤية نفسك والآخرين على حقيقتهم.

هذه الغشاوة قد تدفعك لأفعال مش حقيقية، مش إنت، مش شخصيتك، مش أخلاقك، بس بتعملها لمجرد إن مفهومك للحياة أصبح مشوه بعض الشيء، بتنجرف، بتتحول.

أنا على مدار التمان سنين اللي فاتوا، اتحولت مرتين تحول حاد في الشخصية، المرتين دول ظروفهم كانت متشابهة، وكل مرَّة فيهم قلبت حياتي رأسًا على عقب.

يمكن كنت دايمًا بافتكر إن التحول اللي بيحصل في شخصيتي ده تحول مفاجئ، بس فعليًّا كان بيبقى مبني على حاجات كتيرة

شفتها في السنين اللي قبله، بتترسب وتتراكم جوايا من غير ما آخد بالي، وبيكون ليها حافز بس، «trigger»، حافز بيخلّي كل حاجة تضرب في وشي فجأة.

أنا شفت حاجات كتيرة، شفت كل حاجة تقريبًا، بس مش كل حاجة شفتها، كان ليها نفس التأثير.

أخطر وأوحش وأسوأ حاجة ممكن تحصل في علاقة ما بين اتنين، هيَ الانفصال بخناق وتجريح، وخناقات الانفصال، خصوصًا لو مع شخص بتحبه أوي، وكنت شايف في وقت من الأوقات إن هو ده اللي هتقضي معاه بقية عمرك. مش بتسيبك، الخناقات دي بتفضل معاك، بتتسلى عليك وإنت قاعد لوحدك، وكل كلمة قالها الشخص التاني بتفضل ترن في ودنك سنين طويلة أوي، وكل كلمة إنت قلتها حتى برضه بتفضل فاكرها، ولو الكلمة قاسية، ولو إنت شخص حساس شوية، وبتحس بالندم. الانفصال ما بين اتنين كانوا بيحبوا بعض كأنه ماتش اتلعب وخسرته، وبتفضل تتفرَّج على الإعادة بتاعته مرارًا وتكرارًا، وتلوم نفسك على كل باصة مقطوعة، وكل فاول عملته، وكل شوطة ما جاتش جون، وكل ما كان حجم حبك للشخص كبير، زادت مرَّات الإعادة.

الانفصال بخناق وتجريح ده شيء مؤلم جدًّا للطرفين، هوَّ شبيه جدًّا بخناقات فيلم «إبراهيم الأبيض»، كله بيخرج متعوِّر، وهدومه متقطعة، وهياخد وقت طويل أوي عقبال ما يعرف يرجع لصورته الأصلية ويتعافى من جروحه.

الكلمة، كويسة أو وحشة، من شخص بتحبه، بتفرق معاك أوي وبتأثر فيك، وصورتك قدام شخص بتحبه ممكن تتفوق في بعض الأحيان ولحظات الضعف على صورتك قدام نفسك.

بعد الجواز كنت فاكر إننا خلاص اتجوزنا وارتبطنا ارتباط مقدس، بس كانت مفاجأة غريبة جدًّا بالنسبة ليَّ إن الجواز ممكن ينتهي، اللي هوَّ إزاي؟ دا أنا متجوز عن حب! هوَّ ينفع؟ مش الأفلام بتقول إن اللي بيتجوزوا عن حب دول خلاص مع بعض للأبد؟! معقولة الأفلام كانت بتكدب؟! آه يا كدابين يا ولاد التيت!

فترة ما بعد الطلاق بقى، كنت حرفيًّا باكره إني قاعد مع نفسي، كاره نسخة مني فشلت في الشعور بالاكتمال، يمكن عشان شخص باكره الفشل في أي حاجة، يمكن عشان كنت باحبها أوي، يمكن عشان كان حلمي من وأنا صغير إني أبقى متجوز من حب حياتي وأنا عندي تلاتين سنة، وافتكرت إني حقَّقت الحلم ده، واتفرَّجت عليه وهوَّ بينهار قدامي، أو يمكن كل ما سبق بالإضافة لحاجات تانية فهمتها مع الوقت وهتلاقيها أغلبها في الكتاب ده برضه.

كنت في قاع الاكتئاب، ويمكن تحتيه بشوية كمان، وكنت محتاج أشوف أي حد أو أنزل أخرج وأشوف ناس، عشان أحصل على أي نوع من أنواع التأكيد الاجتماعي، كعادة أي حد

مُطلق، عايز أحس إني ممكن أتحب والموضوع مش صعب، مش شخص بغيض، مش مكروه، وإن الناس بتحبني وتتقبلني، وإني مش وحش زي ما بقيت أنا شخصيًّا شايف نفسي من كل اللي سمعته عني من الشخص اللي باحبه، إني كويس زي ما كنت طول عمري شايف نفسي، وصحابي وأهلي شايفيني، أو بمعنى أصح، مش زي ما هيَّ شايفاني.

اللي كان مخلِّي الفترة دي أصعب، إني سبت وظيفتي بعد الطلاق، وانفض كل من كان حولي تقريبًا من أغلب الناس اللي كانوا بيعشقوني وأنا فوق وناجح ومهم وباعمل إعلانات ناجحة، طبَّالين الزفة، باقة كبيرة من الذين كنت أعتبرهم ـ مخطئًا ـ أصدقاء، بعضهم ممن يحبون أن يحيطوا أنفسهم بأشخاص ناجحين، أو بمن يعملوا في الميديا، وهم كثيرون من محبي رفقة من هم تحت الأضواء.

فجأة لقيت محدش بيرد على مكالماتي!

ضلمة يا معلم!

كان مُولد واتفض بسرعة مفاجئة ومخيفة!

كنت بدون دخل، ملتزم للبنك بقروض وأقساط، مفلِّس ومديون كمان، بدون زوجة، أو وظيفة، أو أصدقاء يُذكرون إلا القليل، أغلبهم من الأصدقاء القدامى!

قاعد لوحدي في البيت، ومش بانزل إلا قليل لما يجيلي قرش من هنا، أو شغلانة سريعة هنا، ساعتها تلاقيني نزلت وانتشرت!

كنت فاكر إنها طبِّلت خلاص، وجابت آخرها ودي أوطى نقطة في حياتي، بس كنت حمار برضه، أو برضك!

عشان أول ما افتكرت كده خدت على دماغي جامد، الموقف اللي كان نقطة تحول بالنسبة ليَّ، أول تحول...

كل اللي فات كان كوم لوحده، ولما اكتشفت إن كان عندي طفل، وراح، من غير ما أعرف إنه كان موجود، أو إنه هيروح، كان كوم تاني أبشع بكتير!

أقل ما يُقال عني إني ساعتها اتكسرت مليون حتة!

في الوقت اللي كنت فاكر فيه إني خسرت كل حاجة، اكتشفت إن فيه أبعاد جديدة للخسارة!

لما بتخسر كل حاجة فجأة، وفي وقت قصير، بتفقد إيمانك بكل شيء، بس أنا ما فقدتهوش!

أذكر جيدًا إني بصيت للسما يوم لما عرفت، وقلت لربنا بالحرف وأنا بابكي: «إنت لازم تعوَّضني عوض كبير عنه».

ما أعرفش ليه كنت باحب الطفل ده، مع إني ما شفتوش، بس كنت باحبه أوي، وباحب ذكراه أكتر من أي حاجة وأي حد في حياتي!

في الحقيقة ما كنتش عايز طفل، ما كانش في دماغي حتى إني عايز طفل، في العادي ما باحبش الأطفال أوي، وباحسهم صداع وفرهدة ومسؤولية والجو ده كله، ما كنتش أعرف حتى إني ممكن أحب حاجة ما شفتهاش قبل كده! الفكرة كلها إنك

لما بتعرف إنك هتبقى أب بتفرح فرحة عارمة، ولما بيروح منك طفل بتحزن حزن عظيم، أنا بقى خدت الاتنين دول في نفس اللحظة، في نفس الوقت اللي حياتي كانت زي ما بتقول كده بتنهار فيه، حسيت بألم مش هاعرف حتى أوصفه في كتاب لوحده، كنت عارف خلاص في اللحظة دي إني مش هابقى كويس لفترة طويلة.

ابتديت عملية تحول تدريجي في شخصيتي، ابتديت أبقى شخص بيحاول يستعيد كل اللي كان عنده واختفى في لحظة، كنت واحد بيدوَّر على أي علاقة ويحاول يعمل بيها محاكاة لتجربة الجواز السابقة، عشان أرجَّع كل اللي خسرته، نفس الحضن، نفس التفاصيل، نفس النَّفَس.

ما كانش عندي أي مشكلة في الموضوع، الستات ـ الحمد لله يعني ـ بيحبوني لسبب ما، أو بيشوفوا حاجة كويسة جوايا ما أعرفش هيَّ إيه، هُمَّ ليهم نظرة معينة وإحساسهم عالي، أعلى مننا كرجالة بكتير.

بس غصب عني في الفترة دي كنت شخص لا بيحس ولا بيشوف!

هيَّ مين بقى؟ عايزة إيه من العلاقة أو من الدنيا؟ نِفسها في إيه؟ «كَمَننا» أو حاجة تانية، ما أعرفش، ومش مهتم أوي.

يمكن أكتر أنواع كنت باجذبهم في الفترة دي، اللي لسه مفركشة وعايزة تنتقم من صاحبها بتكلمني، اللي عايزة تقضي

وقت لطيف بتكلمني، اللي مش عايزة حاجة حتى وقاعدة زهقانة بتكلمني تلعب معايا شوية وتنكش، أو حتى المؤدبة اللي عايزة تحس إنها على حافة الخطر ومجنونة ومش بيهمها حاجة، كانت تكلمني تتفق معايا على ميعاد ننزل، وتخاف وتجيب ورا وتختفي شوية من الكسوف.

كنت الفك المفترس، مشيها فك يعني!

عايش بالطول وبالعرض، وبارقص على ترابيزات الـ«clubs»، وآخر واحد بيروَّح من البارات، وباجرب أي حاجة ممكن تتجرب، وأي حد!

نوع من أنواع الأمل الأهبل الشبيه بلعب القمار، بس كنت بالعب بحياتي من غير ما يكون معايا ورق، بادخل «All in» وأنا معايا خمسة وتلاتة مثلًا.

وعلى التوازي، كنت دايمًا من خلال الإنترنت، أو حتى البرنامج، باحاول ألحق الناس، أضحَّكهم، أو أنصحهم، أو الاتنين.

كان بيدِّيني قوة الموضوع ده، إحساس إن فيه شخص ممكن ألحقه من اللي أنا فيه ده وأبعده عنه، كان بيحسِّسني إني ممكن أكمل، وإن لسه ليَّ هدف في الدنيا، حاجة تصبرك على الوجع اللي إنت فيه. كنت باقع كل يوم ميت مرَّة، وأقف تاني زيهم، صحيح كانت وقفة مهزوزة، بس أهو، كنت باقف يعني الحمد لله.

طول عمري مهما باقع باقف تاني، دي أكتر حاجة أنا شاطر فيها بفضل الله، رب الكون ميزنا بـ«ميسة».

فضلت مُغيَّب، مش مُدرك، ومستني إن أي واحدة هاقابلها هتبقى حب حياتي الجديد، حرفيًّا باتشعبط في أي حاجة، وأصدق الفكرة جدًّا، بغض النظر عن هيَّ مين أو قابلتها إزاي وفين وحياتها شكلها إيه، وأحاول أغيَّر أسلوب حياتي عشانها، وأصلح أي حاجة غلط باعملها، مؤمنًا إيمان باهت إن دي فرصتي إني أصلح كل حاجة حصلت، بس كنت باكتشف دايمًا إن الأستاذة السنيورة الجديدة مش عايزاني أغيَّر حاجة، خالص، لأ دي هيَّ جايالي عشان كده، عايزة كده، عاجبها بايظ كده! رايحة «دريم بارك» وعايزة تركب الصاروخ، جاية للـ«باد بوي».

مستغرب؟ ما تستغربش، كنت شيء مبهر جدًّا بالنسبة ليهم في الوقت اللي أنا فعليًّا فيه باهرب من ألمي! وبعدين ما هو واحد عاش في ألم ومش في وعيه طول الوقت، هيقابل إيه؟ بطلة أوليمبية؟

كنت التجربة المثيرة في حياة كتير من اللي حياتهم كلها رتابة وملل!

وأنا من جوايا باتعامل مع العالم من منطلق «مفيش حد فيكو موجوع أدي»!

تعبان، وباحاول ما أبينش، وده كان بيفشخني زيادة، عشان بيسهل للناس إنهم يحكموا عليَّ.

أنا ما كنتش باحاول حتى أحسِّن صورتي في أي حاجة، ما كنتش مركز أوي، كنت بادوَّر على حاجة معينة مش شايف غيرها، ومش مهم أي حاجة تانية.

والناس ما بتصدق تتكلم، ما بيصدقوا يلاقوا واحد واقع ويطلعوا يحكموا عليه من منصة أخلاقية، حتى لو هُمَّ فعليًّا ما ينفعش يقفوا تحت هذه المنصة، حتى لو هُمَّ ما ينفعش يبقوا تحت السجادة اللي عليها المنصة أصلًا، بس عادي، عشان بس يحسوا بالتفوق والـ«superiority»، يحسوا إنهم مش وحشين زي ما حد تالت خلَّاهم يحسوا! أصل هيَّ الدنيا كده، كلنا ضحايا لضحايا آخرين!

في وسط دوامات العك دي كلها، كان دايمًا بتظهرلي كل شوية حورية، ملاك...

واحدة لو كنت في ظروفي الطبيعية كنا هنبقى أسعد اتنين في الدنيا، كانت بتبقى زي هدية كده من عند ربنا، عشان يفكرني إن الدنيا لسه فيها حاجة كويسة، عشان ما أقعش أوي ممكن.

واحدة فيها شوية نور كده، تلحقك من الضلمة اللي إنت فيها.

دايمًا كانت بتبقى جميلة جمال لا يوصف، قلبها أنضف من غرفة جراحة متعقمة، وعندها درجة من الإحساس نادرة الوجود، زي الملايكة من الآخر يعني.

كانوا دايمًا شايفين فيَّ حاجة كويسة حتى لو كل اللي حواليَّ أقنعوني بالعكس، وكانوا بيقربوا مني، ويحاولوا يساعدوني،

يفوقوني، يخرجوني من دايرة الألم المفرغة، وخلّيني أشرحها دي بالتفصيل...

اللي هيَّ دايرة الـ«self-loathing».

إنت بيحصلك حاجة، موقف، حدث، أي حاجة بتأثر فيك بحزن أو ألم، بعدها تبتدي تحس إنك ما بتحبش نفسك، ومش راضي عن نفسك أو عن الحياة، ومش قادر تتقبل الوضع ده، وبتكون قاسي جدًّا مع نفسك، خصوصًا لو اتربيت بقسوة، فبالتالي بتدوَّر على أي حاجة تعملها عشان تنسيك، حتى لو غلط، حتى لو ضد مبادئك كلها، وبمجرد إنك تعملها، ضميرك، أو بوصلتك الأخلاقية، أو أيًّا كان الشيء اللي جواك اللي بيحاسبك على كل حاجة، بيصحى، إنت، أو الشيطان يعني، ممكن تكون نجحت إنك تعطله شوية، أو تتحايل عليه، أو تقوله بص العصفورة وتروح عامل كارثة، بس هوَّ لازم بيصحى، لازم هيصحى، وهيجيبك ويقولك إنت بتعمل حاجة غلط ويوريهالك، فتزعل زيادة، وما تحبش نفسك زيادة، وما تبقاش راضي عن نفسك زيادة، وتقسو على نفسك زيادة، فتدوَّر على حاجة تانية تعملها عشان تنسى تاني، فتغلط تاني، ودوخيني يا لمونة...

دايرة مفرغة، ودوامة اتجاهها لتحت بس، مش هتسيبك غير لما تنزل تلمس أرض البحر وتبلع ميه ورملة.

الدايرة دي دائمًا وأبدًا ما بيكونش ليها غير حل واحد، مخرج واحد بس لا غير، حرفين بس: حُب.

حب من شخص جميل، حب من صديق وفي، حب من أهل، حب من أصدقاء، حب نفسك، والأهم، حب من ربنا، تفتكر وتصدق إنه مش قاسي زي ما صوروولك كل الشيوخ اللي دمروا إحساس أمة كاملة بحب ربنا، لما تفصل كل القرف اللي سمعته منهم، وتفتكر إنه بيحبك وبيقدَّر وبيسامح، ولو هيحاسبك هيحاسبك وهوَّ بيحبك، لو هيدفَّعك تمن غلطة هيعمل كده عشان بيحبك، حب خالص مهيمن غير مشروط بدون أدنى ذرة كراهية.

أي كلمة أو فعل فيهم نسبة كراهية، بيخلقوا نسبة كراهية جديدة لميزان الطاقة بتاع الدنيا، وهتفضل تلف لحد ما ترجع لمصدرها الأساسي.

والعكس صحيح وأهم، أي كلمة أو فعل فيهم حب، بيخلقوا نسبة حب جديدة تُضاف لميزان طاقة الدنيا حواليك، وهتفضل تلف برضه لحد ما ترجع لمصدرها الأساسي.

ممكن أحكي حاجات كتيرة أوي، مشاهد ما تتوصفش، بس مش هاقدر أوصف جمال كل لحظة كانت في حضرة جمال وحب ست ملهاش وصف غير ملاك.

كل اللي ممكن أقوله، إننا كنا دايمًا بنهرب من عيون الناس، وعيون الناس كانت بتجري ورانا.

دي كانت نقطة التحول التانية: إني لقيت حب، لقيت حب كافي يمسح كل الكره الإسود اللي اتوزع عليَّ بالتساوي من كل اللي كان حواليَّ، ويبدله بأبيض، بنور، بسعادة. وجِه في صور

كتيرة أوي، ابتدى بالمصدر الأساسي الدنيوي اللي بيفرق معايا في حياتي كلها... الست.

بدأ معايا عملية غسيل للروح واسعة النطاق، ابتدت بحب ست جميلة، وانتهت بحبي لنفسي.

وصلت لنقطة اتزان عكس التحول الأول، ويمكن حتى نقطة اتزان أعلى بكتير من أي نقطة كنت وصلتلها في حياتي قبل كده، وده يخلِّيني شاكر وممنون جدًّا للرحلة اللي مريت بيها، وشاكر لربي شكر عظيم، وشاكر كل الشكر لأجمل ستات في الدنيا اللي ساعدوني، سواء بمجرد وجودهم، أو تقبُّلهم، أو صداقتهم، أو حبهم، واللي فعلًا شايفهم مظهر من مظاهر وجود ربنا في الدنيا، وشاكر لربي جدًّا إني لقيت حب حياتي، وأي حياة سابقة عشتها...

الحورية اللي أنا متأكد إنها كانت زوجتي في الجنة!

نصف روحي الآخر إن لم يكن ثلاثة أرباعه!

اللي بانام وأنا فاتح صورتها وواخدها في حضني!

اللي فكرتني أد إيه ربي عظيم عظيم!

اللي فكرتني بكل حاجة حلوة نسيتها!

اللي فكرتني إن الحب ده أكثر المشاعر إلهية، وأقواها في الانتصار على أي مشاعر تانية!

اللي فكرتني إزاي أحب زي العيال الصغيرة!

اللي فكرتني إن طريقة حبي مش غلط، كل واحدة قابلتها قبلها

هيَّ اللي كانت غلط، أي واحدة مش هيَّ كانت غلط، عشان هيَّ الصح الوحيد!

اللي فكرتني بمقامات الحب الحداشر اللي كان نفسي أكتبها: الفرحة برؤياه، الشوق في غيابه، الرغبة في إسعاده، التسامح في ذنبه، الذكرى، السكون في حضنه، الجنون في لمسته، الاطمئنان بوجوده، السهر على خياله، اليقين بالتقاء الروحين من قبل، الترفع والاستغناء التام عن غيره وأي غيره فهو دونه!

اللي عمري ما هاقدر أديها حقها وحق جمالها وحق روحها، بس اللي ممكن أقوله إني لو قضيت بقية عمري ساجد مش هاكون شاكر لربنا كفاية!

اللي اسمها على مسمى، اسم شفته في السما، اسم خلَّاني لأول مرَّة في حياتي أحس بالرضا!

أنا كنت أكبر حمار، لما افتكرت إن مفيش حب!

ربنا هوَّ الحب، في صور كتيرة أوي في الدنيا دي!

#41
لما افتكرت إني اتجننت

يمكن مش كل حاجة عرفت أكتبها في الكتاب ده، اللي هوَّ رحلة خمس سنين أغرب من بعض، ومش عارف أقولك حصل فيها إيه تحديدًا، عشان مش كل حاجة ينفع تتحكي، وفيه أوقات كنت باحس إن كل يوم بيعدي فيلم لوحده.

أصل هاقولك إيه؟ هاقولك إني شفت ربنا سبحانه وتعالى بمليون شكل في حياتي؟ مش هتصدق.

هاقولك إني شفت الشيطان، وبصيت في عينيه، وشفت حواجبه الرفيعة والنار اللي جواه؟ برضه مش هتصدق.

أنا فعلًا شفت حاجات كتيرة أوي وأغلبها ما يتصدقش، وفيه أوقات كتيرة كنت على حافة الجنون، أو الانتحار، أو الاتنين.

أنا شربت كل حاجة، وجربت كل حاجة، وعملت كل

حاجة ممكن تتخيلها، وحاجات تانية كتيرة صعب تتخيلها، مش تقليل منك، بالعكس، أنا نفسي ما كنتش أعرف إنها موجودة، عملت كل حاجة بالذوق وبالحب وبالضغط وبالعافية والإكراه.

رُحت في حتت عمري ما كنت أتخيل حد في حياتي ممكن يروحها، مش أنا حتى.

فيه أوقات كانت الحاجة الوحيدة اللي بتخلِّيني أصدق اللي باشوفه، إن فيه أصدقاء أو صديق موجود في حياتي وشايف هوَّ كمان اللي أنا شايفه، شايف اللي بيحصل ما بين خير وشر، معجزات وابتلاءات، ما بين سحر وأعمال وعالم ما وراء الطبيعة، ومحاولات لا حصر لها لمجرد إني أبقى كويس.

حروب في السر وفي العلن، أنا طرف فيها، وساعات مش طرف.

إيمان قوي، وفي ساعات قلب متردد.

خساير بالطن، ومكاسب بأطنان مضاعفة.

سنين عمر غالية، وشباب وأطفال من صلبي ربي ما أرادش إنهم يشوفوا نور الحياة، وصحة وفلوس، وحب كنت فاكره حب، وجواز كنت فاكره جواز، وصحاب كنت فاكرهم صحاب، وهاقولك إيه ولَّا إيه!!

يمكن مش كل حاجة عرفت أكتبها في الكتاب ده، بس اللي أقدر أكتبه، واللي عايز أكتبه، واللي عايزك تقراه وإنت في عربيتك

أو مواصلتك أو في سريرك أو حتى على البحر، إن الثابت الوحيد بالنسبة ليَّ كان دايمًا ربنا، في صورة إشارة، في صورة بشر، في صورة معجزة، في صور كتيرة أوي ما تتعدش، بيسمع كل حاجة، وبيشوف كل حاجة، ومفيش دعاء بيفوته، حتى لو اتقال مرَّة واحدة.

اللي أقدر أقولهولك إن مفيش حاجة اسمها خسارة طول ما إنت مع ربنا. كل حاجة في إيده، وكل حاجة بترجع مضاعفة، طول ما إنت شايله في قلبك وعاملُّه حساب، طول ما إنت مدرك إن الدنيا دي مجرد لعبة «3D» ما تسواش، وهوَّ المهيمن عليها، هوَّ اللي حاطط تصميمها بكل حاجة كبيرة وصغيرة، بأدق أدق التفاصيل اللي جوه اللعبة، بالمفاتيح اللي مستخبية، بالناس اللي هتقابلهم، باحتمالاتك كاملة اللي إنت شايفها واللي إنت حتى مش شايفها.

الخدعة اللي بيحاول يخدعك بيها الشيطان، هوَّ إنه يحاول يقنعك إن ربنا سايبك في الدنيا بطولك، عايزك تفتكر إن ربك العظيم الرحيم عمل الدنيا دي وخرج وسابها تاكل في بعضها وقعد يتفرج، وعايزك تفتكر إنك صغير، ومش مهم، ومش محور الكون، ومش فارق مع حد، وعايز يقلل منك بأي شكل، زي صاحبتك اللي بتكرَّهك في بيتك وجوزك، وصاحبك اللي بيقلبك على مراتك، وزميلك في الشغل اللي بيجرحك لما تبقى شاطر، وأنتيمتك اللي بتحسسك

إنها أحسن منك، كل اللي بيحاولوا «يعلِّموا عليك» دول، دول الشيطان!

جروح صغيرة، ما تاخدش بالك إنها حصلت، بس مفتوحة وبتنزف نزيف بسيط أوي، عشان هوَّ واللي باعوله نفسهم يمصوا دمك منها، يدخلولك منها، يسحلوك منها، يعطلوك عن هدفك الأساسي، الـ«purpose»، زي المشهد اللي في فيلم «The Matrix»، عايزين يشفطوا طاقتك، روحك اللي ربنا كرَّمك بيها عليه.

في إحدى الروايات العبرية، اللي للأسف متدارية عننا، فيه جزء مكتوب فيه ما قبل القصة القرآنية، جزء بيقول إن ربنا خلق جسد آدم العظيم، جسدك ده، بعقله بعينيه بشعره بفكره بخياله بمشاعره بنوره، والشيطان افتكر إن هوَّ اللي هياخده، افتكر إنه معمول عشانه، لمجرد كبرياء زايفة وغرور مَرضي، بس رب العالمين نفخ فينا من روحه هوَّ، كرَّمنا، فرحان باللي هوَّ خلقه، فخور بينا، خالق فخور بخلقه، وقاله يسجدلك، وده اتجنن، ورفض، والغيرة كلت قلبه، وحلف إنه يكرَّهك في نفسك وفي حياتك، ويبعدك عن طريقك اللي ربنا راسمهولك، اللي في الأول فيه جنة، وفي الآخر فيه جنة.

مريض، مريض هتشوفه بيطلعلك من كل ناحية، ويعمل نفسه صاحبك وحبيبك وصديقك، أو حتى حب حياتك، عشان يوقعك بس، عشان ما توصلش، عشان ما تاخدش مكانتك

الحقيقية اللي ربنا عايزك تاخدها عشان بيحبك وعشان إنت منه.

إنت أقرب شيء للإله، مكانة، وروح، واتصال...

إنت أعظم مخلوقاته، اللي قال للملايكة عشانك ملكوش دعوة، أنا عارف أنا باعمل إيه، أنا عارف أنا خلقت إيه كويس أوي، أنا عارف اللي نفخت فيه مني ده هيعمل إيه، أنا عارف، إني أعلم ما لا تعلمون.

أنا باقولك أهو، لو احترمت تفكيري في أي وقت، لو قلتلك حاجة صح في أي وقت، لو حسيت إن دماغي شغالة بطريقة سليمة في أي وقت، صدَّقني، أنا مفيش ليَّ أي مكسب من ورا الكلام ده غير وجه الله.

ربك موجود جوه الدنيا دي بنفسه، وحواليك بمليون شكل، حتى لو مش بتدوَّر عليه، هوَّ جنبك أوي، حتى لو مش في بالك، هوَّ واخد باله منك، وبيحاول يكلمك بمليون طريقة وإشارة وعلامة، سايبلك مليون مفتاح لباب ما بيتقفلش، وباعتلك مليون رسول يفكروك بس إنه موجود، حتى لو استيكر على ضهر ميكروباص، دي إشارة من ربك بتفكرك إنه موجود.

أقسم لك بكل ما هو مقدس، حتى التفاصيل دي في إيده!

دي لو لعبة كمبيوتر أو موبايل مفيش بيكسل جرافيك موجود فيها عبث، ما بالك بالدنيا والخالق العظيم؟

لو نسيت ده يا قارئي العزيز، هتفتكر إنك اتجننت، وده للأسف اللي الشيطان عايزه، عشان تبقى لعبة في إيده!

أنا كنت حمار لما افتكرت نفسي اتجننت!

بس الحمد لله، لقيت ربنا!

هوَّ موجود، حتى لو مش بتدوَّر عليه!

43#
لما كنت باهرب

أهم سؤال كان لازم أسأله لنفسي وأنا باكتب الكتاب ده: هوَّ أنا باكتب الكتاب ده ليه؟ عايز إيه؟ عايز أوصل لإيه؟ هاستفيد إيه؟ هل هيَّ مساحة جديدة عايز أجربها؟ ممكن.

أنا جربت أقدِّم برامج، وأكتب وأمثل وأخرج، ممكن عايز أكتب كتاب عشان أجرب عندي الموهبة ولَّا لأ؟ ما أظنش.

ولَّا تكونش كبرياء، إيجو، عايز يبقى اسمي «عندي كتاب في السوق»؟ أشك، مش مهتم أوي بصورتي قدام الناس على أد ما أنا مهتم إني أبقى كويس.

يمكن شايف إني عندي قصة عايز أحكيها، ويمكن شايف إني ممكن أساعد حد بالقصة دي، أحسسه إنه مش لوحده، أو أقوله حاجة يمكن، يمكن، تخرجه من حالة معينة هوَّ فيها، أو حتى ألحق حد من إنه ياخد قرار مش صح؟ ممكن جدًّا، كل

ده حقيقي فعلًا، ودي نيتي قدام ربنا، حتى وأنا باعري نفسي للجميع.

بس في الأساس، بعد ما ابتديت أكتب بشوية، وأمسح، وأكتب، وأبطَّل كتابة، وأرجع أكتب تاني، وأقرأ اللي كتبته، فهمت إن المشكلة كلها في إني بكل بساطة، باحاول أواجه نفسي، باحاول أكون مهيمن على حياتي، بامسك نفسي من راسي وأحط نفسي قدام المراية: أهو، ده إنت، ده اللي حصلك، واللي عملته.

وده كان لازم يحصل عشان مريت بحاجات كتيرة أوي نستني شوية أنا مين وعايز إيه، وغيَّرت مفهومي ومنظوري وهدومي حتى، وحاجات تانية ما كنتش مُدرك حجم تأثيرها عليَّ وماشي ومكمِّل وباتعامل في حياتي طبيعي جدًّا، أو يعني، فاكر إني طبيعي ومش شايف.

كان لازم أقف وأفهم إيه اللي بيحصل.

بعدت عن نفسي بشكل رهيب، وكأني خرجت بره نفسي تمامًا.

الألم بيعمل كده، والحزن بيعمل كده، والإحساس الدائم بالذنب بيعمل كده.

المواجهة شيء صعب جدًّا جدًّا.

صدِّقني، أنا تعبت أوي أوي فيها، وبتبقى أصعب وأصعب لو متأخرة، في حالتي أنا اتأخرت سنين.

سألت نفسي في يوم من الأيام: هوَّ أنا ليه باحاول أبقى كوميدي وأنا جوايا كل اللعبكة دي؟

واكتشفت بعد سنين إني كنت باهرب، معروفة يعني! هاكون يعني مولود في مستشفى الجلاء للولادة الكوميدية؟ أكيد باتنيل على عيني وباهرب!

بس السؤال كان: من إيه؟ إيه الشيء اللي باهرب منه واللي مخلِّيني في عملية بحث دائم عن الضحك والإفيه ورضا الناس وحبهم من خلال ضحكهم وانبساطهم؟

والإجابة كانت بسيطة.

لحظات السعادة في طفولتي كانت محدودة، ولما كبرت شوية ودخلت جامعة، ولما اشتغلت، ولما اتجوزت، وفي أغلب حياتي بصفة عامة. وده كل الناس مش أنا بس، السعادة وأي حاجة حلوة عامة، بتبقى نادرة شوية وبتيجي في جرعات صغيرة، زي الأحجار الكريمة، زي البلوتونيوم، زي الحشيش النضيف، اللي عمري ما جربته طبعًا ولا أحب أجربه، بس من اللي باسمعه يعني.

لما بصيت على مصر كلها اكتشفت حاجة مهمة جدًّا: الحياة بصفة عامة مش سهلة، وعندنا هنا مش أسهل حاجة خالص، دي لوحدها كده من غير أي مشاكل شخصية لسه، لسه من غير أي إضافات أو مواد حافظة.

من العدل إننا نقول إن المصري بيتعب في حياته أكتر من

أغلب الشعوب التانية، بس في نفس الوقت من الناحية التانية خالص، المصري معروف برضه إنه ابن نكتة ودمه خفيف.

عندنا هزار، وتهريج، ونكت، وإفيه، وقلش، وقلش رخيص.

بتهزر كنوع من أنواع المداعبة.

عشان كسر حدة موقف معين.

عشان تتعرف على حد.

عشان تدافع عن نفسك.

عشان تاخد حقك.

عشان تلطف الأجواء، أو تخرج من أزمة.

عشان تنسى.

وأحيانًا حتى، لمجرد التسلية.

هيَّ دي طريقتنا للتعايش، بنهزر عشان نعيش، وأنا واحد منكو مش أكتر... باحاول.

كنت حمار لما حاولت أهرب من نفسي!

عشان مفيش حاجة أهرب منها!

عشان إحنا قوتنا في قوة تحملنا!

المواجهة حلوة أوي، أوي يعني، لو حابب تبقى سعيد في حياتك، بس خلِّيك رحيم بنفسك وإنت بتعملها.

مؤخرة

سوري في الكلمة.
متشكر أوي أوي أوي يعني إنك اشتريت الكتاب ده وقريته.
شكر حار جدًّا.
شكر واجب.
من كل قلبي.
لو حد زعلته، فأنا آسف.
لو حد زعلني، فأنا مسامح.
كانت رحلة غريبة وجميلة!
ده مش معناه بأي شكل من الأشكال إني مش هاغلط تاني، أو مش هابقى حمار تاني، بالعكس، الحمورية دي غالبًا هيَّ رسالتي في الحياة، بس على الأقل، هديت شوية، وبقى عندي شوية إدراك.
«إدراك»، دي كلمة في غاية الجمال!

شكر خاص وواجب

مجموعة الناس دول حابب أوجهلهم شكر حقيقي من قلبي:

حسن حامد

طارق رجائي

محمد جاد

حنتيرة

مراد

ليلى صدقي

أحمد شعبان

أحمد أبو خليل

صالح أبو خليل

عز الدين

أحمد مراد

عمرو دياب

سورية صغيري

لما

رانيا عمر

طارق حسني

وائل فخراني

أحمد عباس

أحمد الدفراوي

محمود مرسي

مروة مصطفى

هشام السيد

أميرة الجمل

إنجي المقدم

إسعاد يونس

نورهان الهجرسي

مزاهر

عمرو مصطفى

إسماعيل نجيب

محمد عبد القدوس

شوشة كمال

محمد جمال بسيوني

عمرو يوسف

خالد الحلفاوي

وليد الحلفاوي

نبيل الحلفاوي

كريم العسال

محمد بناني-مي

آية سماحة

أحمد زكي

عصام نصار

كريم فتحي

أحمد السبكي

توتة السبكي

حسن الرداد

معتز فتيحة

هشام عبد الخالق

عمر عبد الخالق

محمد حفظي

توبة

ندا أكرم

مي زين الدين

منى عيسى

تامر حبيب

مصطفى يلمز

مسار إجباري

هاني الدقاق

تامر عطا الله

محمود صيام

أحمد حافظ

أيمن مسعود

كايروكي

أمير عيد

تامر هاشم

شريف مصطفى

آدم

هواري

أحمد نبيل (مصمم الغلاف)

طارق العريان

موسى عيسى

محمود رمضان

سيفين سامي

أشرف ـ ساندي ـ سراج

كريم الجمال

بيريهان الجوهري

طارق الأنصاري

نور والي

وليد ندا

كريم كوتة

عادل مجدي

محمد كريم أبو المجد

محمد عماد

أحمد فاروق

هيثم أبو النصر

محمد نياز

هشام علي

هادي سالم

أماني مرجان

سيلفيان (سلمى) كورجو

رانيا عمر

نادين

باسم صبري

Steve Gooch

Nicola

Juditta Salem

دفعات يحيى الرافعي ٢٠٠١،
أكاديمية بحرية ٢٠٠٦، أورانج ٢٠٠٨:
متشكر على حبكو ودعمكو والأيام الجميلة في وسطكو.

ماما، ومحمد، ورشا، وإبراهيم، وفريدة، وعمرو، وحلا:
إنتو أهلي وإخواتي وولادي، ربنا يخلِّيكوا ليَّ.

المحترم النبيل سيف سلماوي:
أعجز عن شكرك، وشرح مدى امتناني وعرفاني بالجميل، لصبرك العظيم، وتشجيعك، واحتمالك. جزاك الله كل خير.

معز مسعود على اليمين، ومحمد دياب على الشمال، واللي في النُّص
ده أنا، بعد محاولة انتحار مبسوط إنها ما نجحتش، مدين ليكم بكتير
أوي، شكرًا، ألف شكر

وأنا طفل صغير كان حلمي إني أكتب كتاب أحكي فيه قصص زي اللي باقراها، بس وقتها ما كانش عندي أي حاجة أحكيها غير قصص سلسلة ملف المستقبل ورجل المستحيل وأفلام الكارتون اللي شفتها.

لما كبرت، اكتشفت إن حياتي ما كانتش بعيدة أوي عن الأفلام دي، وطلعت أكبر فيلم كارتون فيها.

ده أول كتاب ليَّ في حياتي، أتمنى عزيزي القارئ إنك تتقبله قبول ميريام فارس في مدرسة طبري الحجاز بنين، أو قبول ميريام فارس بصفة عامة، ويكون حلو كده وخفيف على قلبك، وتستفيد منه أي حاجة.

هشام منصور

الكرمة